عالمية الرسالة المحمدية

كما يجب أن نفهمها

ابن شهوان

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

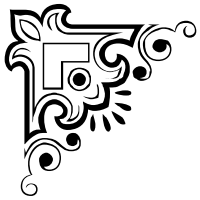

شَرِيعَةُ النَّبِيِّ ﷺ مَبْنَاهَا عَلَى الْحِكَمِ وَمَصَالِحِ الْعِبَادِ

فَالنَّبِيُّ ﷺ بُعِثَ بِأُصُولِ تَشْرِيعٍ جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ؛ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]؟!!

بَلَىٰ.. يَعْلَمُ.

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَعْلَمُ مَا يَصْلُحُ عَلَيْهِ النَّاسُ، وَمَا يُصْلِحُ النَّاسَ؛ فَشَرَّعَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِحِكْمَتِهِ شَرْعًا حَكِيمًا، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ.

جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَذَا الشَّرْعِ الْخَاتَمِ الْحَكِيمِ، لَيْسَ فِيهِ خَلَلٌ، وَلَيْسَتْ بِهِ ثُغْرَةٌ يُمْكِنُ أَنْ يَنْفُذَ إِلَيْهَا أَحَدٌ بِعَقْلٍ أَبَدًا؛ فَيَسْتَدْرِكَ عَلَيْهَا مُسْتَدْرِكٌ بِحَالٍ أَبَدًا؛ لِأَنَّهُ شَرْعٌ تَامٌّ كَامِلٌ، كَمَا قَالَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٤].(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مِنْ مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ» - الْجُمُعَة ١٠ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٢هـ | ٤-٥-٢٠٠١م.

إِنَّ الشَّرِيعَةَ مَبْنَاهَا وَأَسَاسُهَا عَلَىٰ الْحِكَمِ وَمَصَالِحِ الْعِبَادِ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ.

وَالشَّرِيعَةُ عَدْلٌ كُلُّهَا، وَرَحْمَةٌ كُلُّهَا، وَمَصَالِحُ كُلُّهَا، وَحِكْمَةٌ كُلُّهَا، فَكُلُّ مَسْأَلَةٍ خَرَجَتْ عَنِ الْعَدْلِ إِلَىٰ الْجَوْرِ، وَعَنِ الرَّحْمَةِ إِلَىٰ ضِدِّهَا، وَعَنِ الْمَصْلَحَةِ إِلَىٰ الْمَفْسَدَةِ، وَعَنِ الْحِكْمَةِ إِلَىٰ الْعَبَثِ؛ فَلَيْسَتْ مِنَ الشَّرِيعَةِ، وَإِنْ أُدْخِلَتْ فِيهَا بِالتَّأْوِيلِ.

فَالشَّرِيعَةُ عَدْلُ اللهِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَرَحْمَتُهُ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَحِكْمَتُهُ الدَّالَّةُ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ صِدْقِ رَسُولِهِ ﷺ أَتَمَّ دَلَالَةٍ وَأَصْدَقَهَا.

وَهِيَ نُورُهُ الَّذِي بِهِ أَبْصَرَ الْمُبْصِرُونَ، وَهُدَاهُ الَّذِي بِهِ اهْتَدَىٰ الْمُهْتَدُونَ، وَشِفَاؤُهُ التَّامُّ الَّذِي بِهِ دَوَاءُ كُلِّ عَلِيلٍ، وَطَرِيقُهُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي مَنِ اسْتَقَامَ عَلَيْهِ فَقَدِ اسْتَقَامَ عَلَىٰ سَوَاءِ السَّبِيلِ.

وَكُلُّ خَيْرٍ فِي الْوُجُودِ فَإِنَّمَا هُوَ مُسْتَفَادٌ مِنَ الشَّرِيعَةِ وَحَاصِلٌ بِهَا، وَكُلُّ نَقْصٍ فِي الْوُجُودِ فَسَبَبُهُ مِنْ إِضَاعَتِهَا وَتَضْيِيعِهَا.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ- مِنْ مُحَاضَرَةِ: «الْمَصَالِحُ الْمُرْسَلَةُ وَأَمْثِلَتُهَا، وَأَقْسَامُ فِعْلِ النَّبِيِّ ﷺ».

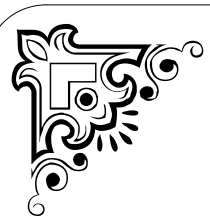

عَالَمِيَّةُ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رِسَالَتُهُ رِسَالَةٌ عَالَمِيَّةٌ، رِسَالَتُهُ إِلَىٰ الْعَالَمِ كُلِّهِ، إِلَىٰ الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا، كَمَا حَدَّدَ إِطَارَهَا الْعَالَمِيَّ -إِلَىٰ الْعَالَمِ كُلِّهِ وَإِلَىٰ الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا- اللهُ ﷻ، وَذَلِكَ فِي صَرِيحِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وَنُزُولًا عَلَىٰ مُقْتَضَيَاتِ الرِّسَالَةِ الَّتِي كَلَّفَهُ اللهُ أَنْ يُؤَدِّيَهَا إِلَىٰ الْبَشَرِ جَمِيعًا، قَامَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِتَبْلِيغِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ إِلَىٰ كُلِّ إِنْسَانٍ وَإِلَىٰ كُلِّ الْبَشَرِ، بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنِ الْجِنْسِ أَوِ الطَّبَقَةِ أَوِ الْعَقِيدَةِ.

لَقَدْ رَحَّبَ بِهِمْ جَمِيعًا مُحَمَّدٌ ﷺ فِي دِينِ اللهِ دُونَ أَدْنَىٰ تَمْيِيزٍ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ ﷺ أَيُّ مَيْلٍ أَوْ أَيُّ فِكْرَةٍ عَنْ تَقْسِيمِ النَّاسِ.

لَقَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَحْمَةً لِكُلِّ الْبَشَرِ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ؛ كَمَا أَشَارَ إِلَىٰ ذَلِكَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ فِي النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وَهُوَ ﷺ لَمْ يَحِدْ عَنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ مُنْذُ بَدْءِ بَعْثَتِهِ إِلَىٰ يَوْمِ وَفَاتِهِ، وَفِي أَوَاخِرِ سِنِي عُمُرِهِ الْمُبَارَكِ ﷺ يَسْتَعْرِضُ مَا مَضَىٰ مِنْ حَيَاتِهِ وَفِي حَيَاتِهِ مِنْ

مَصَاعِبَ وَأَخْطَارٍ تَكَلَّلَتْ فِي النِّهَايَةِ بِالنَّجَاحِ غَيْرِ الْمَسْبُوقِ فِي أَيِّ مَكَانٍ وَفِي أَيِّ زَمَانٍ.

وَيُذَكِّرُهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨].(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ- مِنْ خُطْبَةِ: «شِعَارُ الْفَاتِيكَان.. النَّجَاسَةُ مِنَ الْإِيمَان!!» - ٢٩ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٧هـ | ٢٢-٩-٢٠٠٦م.

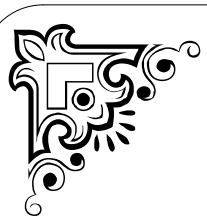

دَلَائِلُ عَالَمِيَّةِ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ

*** مِنْ دَلَائِلِ عَالَمِيَّةِ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ: أَنَّ اللهَ الَّذِي أَرْسَلَ النَّبِيَّ ﷺ هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ فَهُوَ الْمُرَبِّي جَمِيعَ الْعَالَمِينَ -وَهُمْ مَنْ سِوَىٰ اللهِ- بِخَلْقِهِ إِيَّاهُمْ، وَإِعْدَادِهِ لَهُمُ الْآلَاتِ، وَإِنْعَامِهِ عَلَيْهِمُ النِّعَمَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي لَوْ فَقَدُوهَا لَمْ يُمْكِنْ لَهُمُ الْبَقَاءُ، فَمَا بِهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْهُ -تَعَالَىٰ-.**

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

يُخْبِرُ -تَعَالَىٰ- أَنَّ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْمَحَامِدِ مِنْ صِفَاتِ الْجَلَالِ وَالْكَمَالِ هِيَ لَهُ وَحْدَهُ دُونَ مَنْ سِوَاهُ؛ إِذْ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، وَخَالِقُهُ، وَمَالِكُهُ، وَأَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَحْمَدَهُ وَنُثْنِيَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ.(*).

*** وَمِنْ دَلَائِلِ عَالَمِيَّةِ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ: إِرْسَالُ اللهِ الْأَنْبِيَاءَ كُلَّا إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَإِرْسَالُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً؛ قال تعالىٰ:** ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» -[الفاتحة: ٢].

وَأُؤَكِّدُ لَكُمْ أَنَّنَا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ؛ فَقَالَ: يَا قَوْمِ! اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، مَا لَكُمْ مَعْبُودٌ سِوَاهُ، أَفَلَا تَخَافُونَ عِقَابَهُ إِذَا عَبَدْتُمْ غَيْرَهُ.(*).

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَبِيلَةِ ثَمُودَ أَخَاهُمْ فِي النَّسَبِ صَالِحًا عليه السلام نَبِيًّا وَرَسُولًا، قَالَ صَالِحٌ لَهُمْ: يَا قَوْمِ! اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا؛ فَمَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ سِوَاهُ.(*/٢).

وَأَمَّا رِسَالَةُ النَّبِيِّ ﷺ فَعَامَّةٌ لِكُلِّ الْبَشَرِ فِي جَمِيعِ الْأَزْمِنَةِ اللَّاحِقَةِ لِبَعْثَتِهِ، وَفِي جَمِيعِ الْأَمْكِنَةِ(*/٣)، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وَمَا اصْطَفَيْنَاكَ نَبِيًّا يُوحَىٰ إِلَيْهِ، وَمَا اخْتَرْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ رَسُولًا لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَخَاتَمًا لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ؛ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ؛ بِسَبَبِ حِرْصِكَ الشَّدِيدِ عَلَىٰ إِنْقَاذِهِمْ مِنْ شَقَاءِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَىٰ أَنْ يَظْفَرُوا بِالنَّعِيمِ الْأَبَدِيِّ الْخَالِدِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [المؤمنون: ٢٣].

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [الأعراف: ٧٣].

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ- مِنْ مُحَاضَرَةِ: «حُكْمُ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ حُرِّيَّةِ الِاعْتِقَادِ» - السَّبْتُ ١٨ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٥هـ| ١٣-٩-٢٠١٤م.

وَهُوَ ﷺ رَحْمَةٌ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُ يَحْمِلُ لَهُمْ وَيُبَلِّغُهُمْ أَعْظَمَ دِينٍ، إِذَا اتَّبَعُوهُ وَعَمِلُوا بِمَا فِيهِ؛ يُنْجِيهِمْ مِنْ شَقَاءِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ، وَيُظْفِرُهُمْ بِالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.(*).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ: ٢٨].

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا فِي حَالِ كَوْنِكَ مُرْسَلًا لِلنَّاسِ جَمِيعًا، حَالَةَ كَوْنِكَ مَعَ تَبْلِيغِكَ رِسَالَةَ رَبِّكَ بَشِيرًا لِمَنْ آمَنَ بِالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ الْخَالِدَةِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّينِ، مَعَ أَنْوَاعِ ثَوَابٍ مُعَجَّلٍ فِي الدُّنْيَا، وَنَذِيرًا لِمَنْ كَفَرَ وَأَعْرَضَ عَنِ الِاسْتِجَابَةِ بِالشَّقَاءِ الْأَبَدِيِّ بِعَذَابٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الدِّينِ، مَعَ أَنْوَاعِ عِقَابٍ مُعَجَّلٍ فِي الدُّنْيَا.(*/٢).

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

قُلْ يَا رَسُولَ اللهِ لِجَمِيعِ النَّاسِ: إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا، لَا إِلَىٰ بَعْضِكُمْ دُونَ بَعْضٍ، إِنَّ اللهَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا هُوَ الَّذِي أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ جَمِيعًا، لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا هُوَ.(*/٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [الأنبياء: ١٠٧].

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [سبأ: ٢٨].

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [الأعراف: ١٥٨].

فَمِنَ الْمَزَايَا الَّتِي امْتَازَ بِهَا ﷺ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنَ الْمُرْسَلِينَ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ- أَنْ بَعَثَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ، بَلْ إِلَىٰ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ جَمِيعًا؛ كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا عَنِ الْجِنِّ الَّذِينَ اسْتَمَعُوا لِقِرَاءَتِهِ ﷺ، ثُمَّ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٣١-٣٢].(*).

وَقَدْ جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٢): «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي - وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً..**».

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ(٣): «**وَبُعِثْتُ إِلَىٰ كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: «**وَأُرْسِلْتُ إِلَىٰ الْخَلْقِ كَافَّةً**».(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ» - ٥ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٣ هـ | ٢١-٠٩-٢٠١٢م.

(٢) «**صحيح البخاري**»: (١/ ٤٣٥-٤٣٦، رقم ٣٣٥) واللفظ له، و«**صحيح مسلم**»: (١/ ٣٧٠، رقم ٥٢١)، من حديث: جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

ولفظ مسلم: «...، **وَبُعِثْتُ إِلَىٰ كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ**،...»، وفي رواية للبخاري أيضا: (١/ ٥٣٣، رقم ٤٣٨): «...، **وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً**،...».

(٣) أخرجها مسلم: (١/ ٣٧٠-٣٧١، رقم ٥٢١)، من حديث: جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، والحديث أصله متفق عليه.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ- مِنْ مُحَاضَرَةِ: «حُكْمُ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ حُرِّيَّةِ الِاعْتِقَادِ» - السَّبْتُ ١٨ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٥هـ | ١٣-٩-٢٠١٤م.

وَقَدْ أَوْضَحَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ؛ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(١).

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رضي الله عنه: «مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا فِي قَوْلِهِ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧]»(٢).

وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ**»؛ يَعْنِي: أُمَّةَ الدَّعْوَةِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَرْسَلَهُ ﷺ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ جَمِيعًا فِي مُطْلَقِ الزَّمَانِ وَمُطْلَقِ الْمَكَانِ، لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

---

(١) أخرجه مسلم: (١/ ١٣٤، رقم ١٥٣).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «**التفسير**»: (٢/ ١٨٥، رقم ١١٩٤)، وسعيد بن منصور في «**السنن**»: (٥/ ٣٤١-٣٤٢، رقم ١٠٨٤)، والطبري في «**جامع البيان**»: (١٢/ ١٩)، وابن أبي حاتم في «**التفسير**»: (٦/ ٢٠١٥، رقم ١٠٧٦٩)، بإسناد صحيح، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ:

«كُنْتُ لَا أَسْمَعُ بِحَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى وَجْهِهِ، إِلَّا وَجَدْتُ مِصْدَاقَهُ فِي الْقُرْآنِ، فَبَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَا يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِمَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا دَخَلَ النَّارَ**»، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَيْنَ مِصْدَاقُهَا؟ حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى هَذَا: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾».

قَالَ: «فَالْأَحْزَابُ: الْمِلَلُ كُلُّهَا».

والأثر صحح إسناده الألباني في «**الصحيحة**»: (٧/ ٢٤٥-٢٥١، رقم ٣٠٩٣).

فَكُلُّ مَنْ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ مُنْذُ بَعْثَتِهِ ﷺ مِنَ الْأَبْيَضِ وَالْأَحْمَرِ، وَالْأَسْوَدِ وَالْأَصْفَرِ، وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ؛ كُلُّهُمْ أُمَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، هُمَ أُمَّةُ الدَّعْوَةِ، يَدْعُوهُمْ جَمِيعًا، وَكُلُّهُمْ مُكَلَّفٌ بِالِامْتِثَالِ لِأَمْرِهِ، وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَاتِّبَاعِ شَرِيعَتِهِ؛ فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَهُوَ فِي النَّارِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ الْمُخْتَارُ ﷺ.(*).

*** وَمِنْ دَلَائِلِ عَالَمِيَّةِ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ: إِنْزَالُ اللهِ الْقُرْآنَ لِجَمِيعِ الْعَالَمِينَ؛ فَاللهُ** جَلَّ وَعَلَا **مِنْ أَعْظَمِ خَيْرَاتِهِ وَنِعَمِهِ أَنْ نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنَ الْفَارِقَ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالْهُدَىٰ وَالضَّلَالِ، وَأَهْلِ السَّعَادَةِ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ.. عَلَىٰ عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، الَّذِي كَمَّلَ مَرَاتِبَ الْعُبُودِيَّةِ، وَفَاقَ جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ الْإِنْزَالُ لِلْفُرْقَانِ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا، قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

كَثُرَتْ خَيْرَاتُ اللهِ، وَعَظُمَتْ بَرَكَاتُهُ، وَكَمُلَتْ أَوْصَافُهُ، وَتَنَامَتْ وَتَزَايَدَتْ عَنْ كُلِّ مَا يَصِفُهُ بِهِ الْوَاصِفُونَ مِنْ كَمَالَاتٍ، الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ الْفَارِقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْهُدَىٰ وَالضَّلَالِ.. عَلَىٰ عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، الَّذِي تَحَقَّقَ بِعُبُودِيَّتِهِ الْكَامِلَةِ لِلهِ ﷻ؛ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَبِيًّا رَسُولًا، وَلِيَكُونَ الْفُرْقَانُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ بَلَاغًا عَامًّا لِلْعَالَمِينَ؛ إِنْسِهِمْ وَجِنِّهِمْ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ» - ٥ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٣ هـ | ٢١-٠٩-٢٠١٢م.

فَالْبَلَاغُ الْقُرْآنِيُّ عَامٌّ لِلْعَالَمِينَ، وَالرَّسُولُ الْمُبَلِّغُ لَهُ رَسُولٌ لِلْعَالَمِينَ جَمِيعًا، وَكُلٌّ مِنْهُمَا -أَيْ مِنَ الْفُرْقَانِ وَمُبَلِّغِهِ- نَذِيرٌ لِمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ وَيَسْتَجِبْ.(*).

وَقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [القلم: ٥٢].

وَمَا الْقُرْآنُ إِلَّا مَوْعِظَةٌ لِكُلِّ الْعَالَمِينَ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانُ عُمُومِ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ.(*/٢).

*** وَمِنْ دَلَائِلِ عَالَمِيَّةِ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ: إِرْسَالُ اللهِ نَبِيَّهُ بِدَعْوَةِ جَمِيعِ النَّاسِ إِلَى تَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ**؛ فَقَدْ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ.. أَمَرَ اللهُ ﷻ جَمِيعَ الْخَلْقِ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ.. أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ عَرَبِهِمْ وَعَجَمِهِمْ، أَبْيَضِهِمْ وَأَسْوَدِهِمْ.. أَمَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ مِنْ عَهْدِ آدَمَ إِلَىٰ آخِرِ بَشَرٍ فِي الدُّنْيَا.. أَمَرَهُمْ كُلَّهُمْ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ مَعَ الْإِخْلَاصِ لَهُ -تَعَالَىٰ- فِي الْعِبَادَةِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١- ٢٢]؛ لِأَنَّهُ ﷻ قَدْ جَعَلَ مَرْكُوزًا فِي الْفِطْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَمُسْتَقِرًّا فِي سَوَائِهَا أَنَّهَا تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا نِدَّ لَهُ، ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]، تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا نِدَّ لَهُ، وَلَا شِبْهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ، وَلَا كُفْءَ لَهُ، فَهَذَا نَهْيٌ عَنِ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ وَعَنِ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» -[الفرقان: ١].

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [القلم: ٥٢].

أَمَرَ اللهُ بِذَلِكَ جَمِيعَ النَّاسِ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَىٰ آخِرِهِمْ، أَمَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَمِيعَ النَّاسِ بِذَلِكَ وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ أَيْ لِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لِأَجْلِهَا خُلِقُوا؛ كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

وَأُمِرُوا بِذَلِكَ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة:٢١].

خَلَقَهُمْ لَهَا، وَأَمَرَهُمْ بِهَا؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَمَّا كَانَ الْخَالِقَ وَحْدَهُ، وَالْمَالِكَ وَحْدَهُ، وَالَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ وَحْدَهُ؛ اسْتَحَقَّ ﷻ أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ، وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَلَقَ الْجِنَّ وَخَلَقَ الْإِنْسَ لِهَذَا الْمَقْصِدِ؛ وَهُوَ عِبَادَتُهُ.(*).

*** وَمِنْ دَلَائِلِ عَالَمِيَّةِ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ: أَنَّ أَوَامِرَ وَنَوَاهِيَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ لِجَمِيعِ النَّاسِ؛ قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾** [النساء: ١].

يَا أَيُّهَا النَّاسُ! احْذَرُوا أَمْرَ رَبِّكُمْ أَنْ تُخَالِفُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ، الَّذِي خَلَقَ السُّلَالَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ كُلَّهَا مُشْتَقَّةً مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَهُوَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ عليه السلام، وَخَلَقَ مِنْ آدَمَ زَوْجَهُ حَوَّاءَ، وَنَشَرَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ وَحَوَّاءَ بِالتَّلَازُمِ رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً كَثِيرَاتٍ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ أَعْلَامِ السُّنَّةِ الْمَنْشُورَةِ لِاعْتِقَادِ الطَّائِفَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ [٢٠٠ سُؤَالٍ وَجَوَابٍ فِي الْعَقِيدَةِ]، «الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَىٰ» - الِاثْنَيْن ٢٨ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٢هـ| ٣-١-٢٠١١م.

وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي يَسْأَلُهُ بِهِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَاتَّقُوا الْأَرْحَامَ أَنْ تَقْطَعُوهَا فَلَا تَصِلُوهَا.(*).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

يَا أَيُّهَا الْمُكَلَّفُونَ جَمِيعًا! وَحِّدُوا رَبَّكُمْ وَلَا تُشْرِكُوا فِي عِبَادَتِهِ أَحَدًا؛ لِأَنَّهُ رَبُّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، وَخَلَقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَيُمِدُّكُمْ دَوَامًا بِعَطَاءَاتِهِ، وَبِيَدِهِ نَفْعُكُمْ وَضُرُّكُمْ؛ رَغْبَةَ أَنْ تَخْتَارُوا بِإِرَادَتِكُمُ الْحُرَّةِ عِبَادَةَ اللهِ الَّتِي فُرِضَتْ عَلَيْكُمْ؛ فَتَتَّقُونَ بِذَلِكَ عِقَابَ اللهِ، وَتَنْجُونَ مِنْ عَذَابِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.(*/٢).

وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ دَلَّ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا مُوَدِّعًا لِلْأُمَّةِ، وَمُرْسِيًا لِلْأُسُسِ وَالْقَوَاعِدِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَكْفُلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْأُمَّةِ -إِنْ تَمَسَّكَتْ بِهَا- عِزَّهَا وَمَجْدَهَا، وَظُهُورَهَا وَارْتِفَاعَهَا.(*/٣).

الرَّسُولُ ﷺ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ لَمْ يَخْتَرْ لَهُمْ صِفَةً سِوَىٰ الصِّفَةِ الَّتِي تَجْمَعُهُمْ أَجْمَعِينَ، فَلَمْ يُخَاطِبْهُمْ بِصِفَةِ الْإِسْلَامِ وَهِيَ مَوْفُورَةٌ لَدَيْهِمْ، وَلَا بِوَصْفِ الْإِيمَانِ وَهُوَ مَقْصُورٌ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ!

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» -[النساء: ١].

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [البقرة: ٢١].

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ عِيدِ الْأَضْحَىٰ ١٤٣٧هـ: «فَوَائِدُ مِنْ خُطْبَةِ الْوَدَاعِ» - الِاثْنَيْن ١٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧هـ| ١٢-٩-٢٠١٦م.

مَعَاشِرَ النَّاسِ! وَهُوَ مُنَادًىٰ -كَمَا تَعْلَمُ- عَلَىٰ الْإِضَافَةِ؛ لِذَا وَقَعَ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ: مَعَاشِرَ النَّاسِ!

لَمْ يَخْتَرْ لَهُمْ إِلَّا وَصْفَ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ؛ لِأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ مُحَمَّدًا ﷺ وَاقِفًا مِنْ صُبْحِ الْغَدِ فِي يَوْمِ النَّحْرِ بِمِنًىٰ، يَخْطُبُ النَّاسَ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ!**..»، يَا أَيُّهَا النَّاسُ! بِدِينِ السَّلَامِ رَغْمَ أَنْفِ الْمُعَانِدِينَ، بِدِينِ السَّلَامِ رَغْمَ أَنْفِ الْمُشَوِّهِينَ، بِدِينِ السَّلَامِ، وَلَا دِينَ لِلسَّلَامِ إِلَّا دِينُ الْإِسْلَامِ.

يَقُولُ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ؛ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**»(١). (*).

* **وَمِنْ دَلَائِلِ عَالَمِيَّةِ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ: أَنَّهَا رِسَالَةٌ نَاسِخَةٌ لِمَا قَبْلَهَا مِنْ رِسَالَاتٍ، وَالْإِسْلَامُ هُوَ الدِّينُ الْمَقْبُولُ عِنْدَ اللهِ** جَلَّ وَعَلَا؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ**﴾ [آل عمران: ١٩]، **وَقَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ**﴾ [آل عمران: ٨٥].

إِنَّ الدِّينَ الْمَقْبُولَ عِنْدَ اللهِ هُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ؛ الَّذِي هُوَ الِاسْتِسْلَامُ لِلهِ بِالتَّوْحِيدِ وَالطَّاعَةِ وَالْعُبُودِيَّةِ، وَلِرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْخَاتَمِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَمُتَابَعَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَإِنَّ كُلَّ دِينٍ سِوَاهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ عِنْدَهُ؛ لِأَنَّ الدِّينَ الصَّحِيحَ مَا يَأْمُرُ اللهُ بِهِ، وَيَرْضَىٰ عَنْ فَاعِلِهِ، وَيُثِيبُهُ عَلَيْهِ.

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١/ ١٥٧-١٥٨ رقم (٦٧)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٣/ ١٣٠٥-١٣٠٧ رقم (١٦٧٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «فَضْلُ يَوْمِ عَرَفَةَ».

وَمَنْ يَطْلُبُ بَعْدَ مَبْعَثِهِ ﷺ دِينًا غَيْرَ دِينِ الْإِسْلَامِ وَشَرِيعَةً غَيْرَ شَرِيعَتِهِ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ذَلِكَ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ، الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ إِذْ صَارُوا إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ الْأَبَدِيِّ فِي جَهَنَّمَ.(*).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**».

قَوْلُهُ: «**مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ**»؛ أَصْلُ الْأُمَّةِ: الْجَمَاعَةُ، وَيُضَافُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَيُرَادُ بِهَا -أَحْيَانًا- أُمَّةُ الْإِجَابَةِ؛ أَيْ مَنْ أَسْلَمَ، كَحَدِيثِ: «**شَفَاعَتِي لِأُمَّتِي**»(٢)، وَيُرَادُ بِهَا -أَحْيَانًا- أُمَّةُ الدَّعْوَةِ؛ أَيْ كُلُّ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، وَهُوَ الْمُرَادُ هَاهُنَا، فَالْإِشَارَةُ إِلَىٰ أُمَّةِ الدَّعْوَةِ الْمَوْجُودِ مِنْهَا فِي زَمَنِهِ وَمَنْ سَيُوجَدُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

النَّبِيُّ ﷺ بُعِثَ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَهَادِيًا إِلَىٰ اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، بَعَثَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَاتَمًا لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، نَاسِخًا لِمِلَلِ السَّابِقِينَ،

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [آل عمران: ٨٥].

(٢) أخرج أبو داود: (٤/ ٢٣٦، رقم ٤٧٣٩)، والترمذي: (٤/ ٦٢٥، رقم ٢٤٣٥)، من حديث: أَنَسٍ، قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**».
والحديث صححه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٣/ ٤٦٣، رقم ٣٦٤٩)، وروي عن جابر وعمران وأبي موسىٰ رضي الله عنهم.

دَاعِيًا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِرِسَالَتِهِ، مُحَذِّرًا مِنْ كُفْرَانِهَا وَالصَّدِّ عَنْهَا، كَمَا حَذَّرَ الْمُشْرِكِينَ وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ.

فَكُلُّ مَنْ بَلَغَتْهُ الدَّعْوَةُ يَجِبُ عَلَيْهِ الْإِيمَانُ بِهِ وَيَحْرُمُ عَلَيْهِ الْإِبْقَاءُ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ، سَوَاءٌ كَانَ عَلَىٰ مِلَّةٍ بُدِّلَتْ أَوْ عَلَىٰ مِلَّةٍ لَمْ تُبَدَّلْ، وَمَنْ سَمِعَ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَبِآيَاتِهِ ثُمَّ أَصَرَّ عَلَىٰ كُفْرِهِ وَمَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ الْكَافِرِينَ الْمُخَلَّدِينَ فِي النَّارِ.

فَيُؤْخَذُ مِنَ الْحَدِيثِ: نَسْخُ الْمِلَلِ كُلِّهَا بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِأَنَّ ذِكْرَ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ لِلتَّنْبِيهِ عَلَىٰ مَنْ سِوَاهُمَا؛ إِذِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ لَهُمْ كِتَابٌ، فَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنَهُمْ مَعَ أَنَّ لَهُمْ كِتَابًا؛ فَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ لَا كِتَابَ لَهُمْ مِنْ بَابِ أَوْلَىٰ.(*).

*** وَمِنْ دَلَائِلِ عَالَمِيَّةِ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ: أَنَّ اللهَ جَعَلَ مَهْوَى أَفْئِدَةِ الْعَالَمِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَكَانٍ وَاحِدٍ وَهُوَ بَيْتُ اللهِ الْحَرَامُ**؛ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿**وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾ [الحج: ٢٧].

﴿**وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ**﴾؛ أَيْ: أَعْلِمْهُمْ بِهِ وَادْعُهُمْ إِلَيْهِ، وَبَلِّغْ دَانِيهِمْ وَقَاصِيهِمْ فَرْضَهُ وَفَضِيلَتَهُ، فَإِنَّكَ إِذَا دَعَوْتَهُمْ أَتَوْكَ حُجَّاجًا وَعُمَّارًا.

﴿**رِجَالًا**﴾؛ أَيْ: مُشَاةً عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ مِنَ الشَّوْقِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ: «حُكْمُ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ حُرِّيَّةِ الِاعْتِقَادِ» - السَّبْتُ ١٨ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٥هـ| ١٣-٩-٢٠١٤م.

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾؛ أَيْ: نَاقَةٍ ضَامِرٍ تَقْطَعُ الْمَهَامِهَ وَالْمَفَاوِزَ، وَتُوَاصِلُ السَّيْرَ حَتَّىٰ تَأْتِيَ إِلَىٰ أَشْرَفِ الْأَمَاكِنِ.

﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾؛ أَيْ: مِنْ كُلِّ بَلَدٍ بَعِيدٍ، وَقَدْ فَعَلَ الْخَلِيلُ عليه السلام، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَدَعَوَا النَّاسَ إِلَىٰ حَجِّ هَذَا الْبَيْتِ، وَأَبْدَيَا فِي ذَلِكَ وَأَعَادَا، وَقَدْ حَصَلَ مَا وَعَدَ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِهِ؛ أَتَاهُ النَّاسُ رِجَالًا وَرُكْبَانًا مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا.(*).

وَأَخْبَرَنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **أَنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ -أَيْ: لِعُمُومِ النَّاسِ؛ لِعِبَادَتِهِمْ وَنُسُكِهِمْ، يَطُوفُونَ بِهِ، وَيُصَلُّونَ إِلَيْهِ، وَيَعْتَكِفُونَ عِنْدَهُ- الْكَعْبَةُ الَّتِي بَنَاهَا إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ** عليه السلام؛ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

مِنْ أَعْظَمِ شَعَائِرِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ الْحَجُّ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ، وَهِيَ أَوَّلُ بَيْتٍ وَضَعَهُ اللهُ مَوْضِعًا يَشْتَرِكُ فِيهِ جَمِيعُ النَّاسِ لِلْعِبَادَاتِ، وَقِبْلَةً لِلصَّلَاةِ، وَمَكَانًا لِلْحَجِّ وَالطَّوَافِ، الَّذِي فِي مَكَّةَ.

وَهُوَ مُبَارَكٌ فَائِضُ الْخَيْرَاتِ، تَتَضَاعَفُ فِيهِ الْحَسَنَاتُ، كَثِيرُ الثَّمَرَاتِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، وَهُوَ مَوْضِعُ مَبْعَثِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَنَازِلُ وَحْيِهِ، يَتَّجِهُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ بِقَاعِ الْأَرْضِ؛ فَهُوَ مَصْدَرُ هِدَايَةٍ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «فَضْلُ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ» - الْجُمُعَةُ ٢٧ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٣٦هـ| ١١ -٩ -٢٠١٥م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [آل عمران: ٩٦].

*** وَمِنْ دَلَائِلِ عَالَمِيَّةِ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَشَّرَ بِانْتِشَارِ الْإِسْلَامِ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا**؛ رَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(١) بِسَنَدِهِ عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ زَوَىٰ لِيَ الْأَرْضَ** -أَيْ: جَمَعَ لِيَ الْأَرْضَ- **فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**».

وَهُوَ مِنْ عَلَامَاتِ نُبُوَّتِهِ فِي أَنَّهُ تَحَقَّقَ بَدْءًا، وَأَنَّهُ أَخْبَرَ بِهِ عَلَىٰ هَذِهِ الصِّفَةِ شَرْقًا وَغَرْبًا، لَا شَمَالًا وَجَنُوبًا، وَالْأَمْرُ كَمَا قَالَ ﷺ: «**فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ** -يَعْنِي: الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، أَوْ مُلْكَ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرَ-».(*).

بَلْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ.. كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مُسْنَدِهِ»؛ يَقُولُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ أَخْبَرَ: «**أَنَّهُ لَنْ تَزُولَ الدُّنْيَا حَتَّىٰ يُدْخِلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هَذَا الْإِسْلَامَ فِي كُلِّ بَيْتٍ.. فِي كُلِّ أَهْلِ بَيْتِ مَدَرٍ وَوَبَرٍ**».

فِي أَهْلِ كُلِّ بَيْتِ مَدَرٍ وَشَعْرٍ، لَنْ يَكُونَ بَيْتٌ مِمَّا يَبِيتُ فِيهِ النَّاسُ وَمِمَّا تَصِحُّ فِيهِ بَيْتُوتَةٌ إِلَّا وَأَدْخَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهِ دِينَ الْإِسْلَامِ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ؛ كَمَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ**»(٢).

---

(١) «**صحيح مسلم**»: (٤/ ٢٢١٥-٢٢١٦، رقم ٢٨٨٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «كَفَىٰ غِشًّا لِلْمُسْلِمِينَ!» - الْجُمُعَةُ ٣ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٢٧هـ | ٢٤-١١-٢٠٠٦م.

(٢) أخرجه أحمد في «**المسند**»: (٤/ ١٠٣)، والبخاري في «**التاريخ الكبير**»: (٢/ ١٥٠، ترجمة ٢٠١٦)، والطبراني في «**المعجم الكبير**»: (٢/ ٥٨، رقم ١٢٨٠)، والحاكم: =

فَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ الرَّسُولُ ﷺ لَمْ يَحْدُثْ إِلَىٰ الْيَوْمِ، وَهُوَ حَادِثٌ لَا مَحَالَةَ، ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص: ٨٨].(*).

* **وَمِنَ الدَّلَائِلِ الْعَظِيمَةِ عَلَى عَالَمِيَّةِ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ: إِرْسَالُ النَّبِيِّ ﷺ الرُّسُلَ وَالْكُتُبَ إِلَى مُلُوكِ الْأَرْضِ لِدَعْوَتِهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ؛** «فَالنَّبِيُّ ﷺ لَمَّا رَجَعَ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ كَتَبَ إِلَىٰ مُلُوكِ الْأَرْضِ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ، فَكَتَبَ إِلَىٰ مَلِكِ الرُّومِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلَّا إِذَا كَانَ مَخْتُومًا؛ فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ وَنَقَشَ عَلَيْهِ: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» فِي ثَلَاثَةِ أَسْطُرٍ، كُلُّ كَلِمَةٍ فِي سَطْرٍ، كَمَا أَخْرَجَ ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»، وَخَتَمَ بِذَلِكَ الْخَاتَمِ الْكُتُبَ إِلَىٰ الْمُلُوكِ(٢).

=

(٤/ ٤٣٠-٤٣١)، والبيهقي في «**السنن الكبرىٰ**»: (٩/ ١٨١، رقم ١٨٦١٩) ، من حديث: تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه.

قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ» ، والحديث صححه الألباني في «**الصحيحة**»: (١/ ٣٢، رقم ٣) ، وروي أيضا من حديث الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رضي الله عنه، بنحوه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْخُدْعَةُ الْكُبْرَىٰ».

(٢) أخرج البخاري: (١/ ١٥٥، رقم ٦٥)، ومسلم: (٣/ ١٦٥٦-١٦٥٧، رقم ٢٠٩٢)، من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ:

لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَكْتُبَ إِلَىٰ الرُّومِ، قَالُوا: إِنَّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلَّا مَخْتُومًا، قَالَ: «فَاتَّخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ بَيَاضِهِ فِي يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، نَقْشُهُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ».

وفي رواية للبخاري (٦/ ٢١٢، رقم ٣١٠٦): «...، وَكَانَ نَقْشُ الخَاتَمِ ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ؛ (مُحَمَّدٌ) سَطْرٌ، وَ(رَسُولُ) سَطْرٌ، وَ(اللهِ) سَطْرٌ».

*** وَبَعَثَ سِتَّةَ نَفَرٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ؛ فَأَوَّلُهُمْ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، بَعَثَهُ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ، فَعَظَّمَ كِتَابَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ أَسْلَمَ وَشَهِدَ** شَهَادَةَ الْحَقِّ(١).

وَصَلَّىٰ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ يَوْمَ مَاتَ بِالْحَبَشَةِ(٢)؛ هَكَذَا قَالَ جَمَاعَةٌ، مِنْهُمُ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ(٣).

---

(١) «**الطبقات الكبرىٰ**» لابن سعد: (١/ ٢٥٨-٢٥٩)، ومن طريقه: ابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: (٤٥/ ٤٢٩-٤٣٠، ترجمة عمرو بن أمية)، عن محمد بن عمر الواقدي، بأسانيد له، عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم، به.

وذكر تفصيل رسالته ﷺ وما رد به النجاشي: ابن إسحاق في «**السيرة**»: (ص٢٢٨)، ومن طريق: الطبري في «**تاريخه**»: (٢/ ٦٥٢)، والبيهقي في «**الدلائل**»: (٢/ ٣٠٩-٣١٠)، قَالَ ابن إسحاق:

«بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَمْرَو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ فِي شَأْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابِهِ، وَكَتَبَ مَعَهُ كِتَابًا: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ الْأَصْحَمِ مَلِكِ الْحَبَشَةِ،...».

(٢) أخرج البخاري: (٣/ ١١٦، رقم ١٢٤٥)، ومسلم: (٢/ ٦٥٦-٦٥٧، رقم ٩٥١)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ:

«أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَعَىٰ لِلنَّاسِ النَّجَاشِيَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَخَرَجَ بِهِمْ إِلَىٰ الْمُصَلَّىٰ، وَكَبَّرَ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ».

(٣) انظر: «**الطبقات الكبرىٰ**» لابن سعد: (١/ ٢٥٨-٢٥٩)، وهو -أيضًا- قول ابن إسحاق وغيره.

وَلَيْسَ كَمَا قَالَ هَؤُلَاءِ؛ فَإِنَّ أَصْحَمَةَ النَّجَاشِيَّ الَّذِي صَلَّىٰ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْسَ هُوَ الَّذِي كَتَبَ إِلَيْهِ، بَلْ هُوَ الثَّانِي، وَلَا يُعْرَفُ إِسْلَامُهُ بِخِلَافِ الْأَوَّلِ فَإِنَّهُ مَاتَ مُسْلِمًا.

وَقَدْ رَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(١) مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «كَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ كِسْرَىٰ، وَإِلَىٰ قَيْصَرَ، وَإِلَىٰ النَّجَاشِيِّ».

*** وَبَعَثَ دِحْيَةَ بْنَ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيَّ إِلَىٰ قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ، وَاسْمُهُ هِرَقْلُ،** وَهَمَّ بِالْإِسْلَامِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُسْلِمْ.

وَقَدْ رَوَىٰ أَبُو حَاتِمِ بْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»(٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يَنْطَلِقُ بِصَحِيفَتِي هَذِهِ إِلَىٰ قَيْصَرَ وَلَهُ الْجَنَّةُ؟**».

---

(١) «**صحيح مسلم**»: (٣/ ١٣٩٧-١٣٩٨، رقم ١٧٧٤).

وفي بعض الروايات لَمْ يَذْكُرْ: «وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّىٰ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ».

(٢) «**الصحيح**» بترتيب ابن بلبان: (١٠/ ٣٥٧-٣٥٨، رقم ٤٥٠٤)، من طريقه: الضياء في «**المختارة**»: (٦/ ٩٨-٩٩، رقم ٢٠٨٣).

والحديث صحح إسناده الألباني في «**التعليقات الحسان**»: (٦/ ٤٧٢-٤٧٤، رقم ٤٤٨٧)، وأخرج نحوه ابن سعد في «**الطبقات**»: (١/ ٢٥٩)، من طرق، وأخرجه -أيضًا- الطبري في «**تاريخه**»: (٢/ ٦٤٩-٦٥١)، والبيهقي في «**الدلائل**»: (٤/ ٣٨٤)، عن الزهري، وعن ابن إسحاق، مرسلا، وأخرجه -أيضًا- أبو عبيد ابن سلام في «**الأموال**»: (ص٣٢٤-٣٢٥، رقم ٦٢٨)، عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمُزَنِيِّ، مرسلا.

وحديث كتابة النبي ﷺ إلىٰ هرقل أصله في «**صحيح البخاري**»: (٦/ ١٠٩-١١١، رقم ٢٩٤٠)، من رواية: ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: وَإِنْ لَمْ يَقْبَلْ؟

قَالَ: «**وَإِنْ لَمْ يَقْبَلْ**».

لَفْظُ ابْنِ حِبَّانَ: «وَإِنْ لَمْ أُقْتَلْ؟».

قَالَ: «**وَإِنْ لَمْ تُقْتَلْ**».

فَوَافَقَ قَيْصَرَ وَهُوَ يَأْتِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَرَمَىٰ بِالْكِتَابِ عَلَىٰ الْبِسَاطِ وَتَنَحَّىٰ جَانِبًا، فَنَادَىٰ قَيْصَرُ: مَنْ صَاحِبُ الْكِتَابِ؟ فَهُوَ آمِنٌ.

قَالَ: أَنَا.

قَالَ: فَإِذَا قَدِمْتُ فَأْتِنِي.

فَلَمَّا قَدِمَ أَتَاهُ، فَأَمَرَ قَيْصَرُ بِأَبْوَابِ قَصْرِهِ فَغُلِّقَتْ، ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي: أَلَا إِنَّ قَيْصَرَ قَدِ اتَّبَعَ مُحَمَّدًا وَتَرَكَ النَّصْرَانِيَّةَ، فَأَقْبَلَ جُنْدُهُ وَقَدْ تَسَلَّحُوا.

فَقَالَ لِرَسُولِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: قَدْ تَرَىٰ أَنِّي خَائِفٌ عَلَىٰ مَمْلَكَتِي!

ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِيَهُ فَنَادَىٰ: أَلَا إِنَّ قَيْصَرَ قَدْ رَضِيَ عَنْكُمْ! وَكَتَبَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنِّي مُسْلِمٌ.. وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِدَنَانِيرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ! لَيْسَ بِمُسْلِمٍ، وَهُوَ عَلَىٰ النَّصْرَانِيَّةِ**»، وَقَسَّمَ الدَّنَانِيرَ ﷺ.

وَقَدْ صَحَّحَ هَذَا الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

* **وَبَعَثَ النَّبِيُّ** ﷺ **عَبْدَ اللهِ بْنَ حُذَافَةَ السَّهْمِيَّ إِلَىٰ كِسْرَىٰ**، فَمَزَّقَ كِسْرَىٰ

كِتَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ مَزِّقْ مُلْكَهُ**»، فَمَزَّقَ اللهُ مُلْكَهُ وَمُلْكَ قَوْمِهِ(١).

* **وَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَىٰ الْمُقَوْقِسِ مَلِكِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ عَظِيمِ الْقِبْطِ**، فَقَالَ خَيْرًا وَقَارَبَ الْأَمْرَ وَلَمْ يُسْلِمْ، وَأَهْدَىٰ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَارِيَةَ وَسِيرِينَ وَقَيْسَرَىٰ، فَتَسَرَّىٰ مَارِيَةَ، وَوَهَبَ سِيرِينَ لِحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ.

وَأَهْدَىٰ لَهُ جَارِيَةً أُخْرَىٰ، وَأَلْفَ مِثْقَالٍ ذَهَبًا، وَعِشْرِينَ ثَوْبًا مِنْ قَبَاطِيِّ مِصْرَ، وَبَغْلَةً شَهْبَاءَ وَهِيَ (دُلْدُلُ)، وَحِمَارًا أَشْهَبَ، وَهُوَ (عُفَيْرٌ)، وَغُلَامًا خَصِيًّا يُقَالُ لَهُ (مَابُور)، وَفَرَسًا وَهُوَ (اللِّزَازُ)، وَقَدَحًا مِنْ زُجَاجٍ وَعَسَلًا.

---

(١) «**الطبقات الكبرىٰ**» لابن سعد: (١/ ٢٥٩-٢٦٠)، ومن طريقه: ابن عساكر في «**تاريخه**»: (٢٧/ ٣٥٦-٣٥٧، ترجمة عبد الله بن حذافة)، عن الواقدي، بأسانيد له، عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم.

والحديث صححه بشواهده الألباني في «**الصحيحة**»: (٣/ ٤١٤-٤١٦، رقم ١٤٢٩)، وقد أخرج نحوه البخاري في «**الصحيح**»: (٨/ ١٢٦، رقم ٤٤٢٤) و(١٣/ ٢٤١، رقم ٧٢٦٤)، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّهُ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ:

«أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَىٰ كِسْرَىٰ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَىٰ عَظِيمِ البَحْرَيْنِ، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ البَحْرَيْنِ إِلَىٰ كِسْرَىٰ، فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ».

قال ابن شهاب الزهري: فَحَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ المُسَيِّبِ قَالَ: «فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ضَنَّ الْخَبِيثُ بِمُلْكِهِ، وَلَا بَقَاءَ لِمُلْكِهِ**»(١).

*** وَبَعَثَ شُجَاعَ بْنَ وَهْبٍ الْأَسَدِيَّ إِلَىٰ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ الْغَسَّانِيِّ مَلِكِ الْبَلْقَاءِ.** قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ وَالْوَاقِدِيُّ، وَاللهُ أَعْلَمُ

وَبَعَثَ سَلِيطَ بْنَ عَمْرٍو إِلَىٰ هَوْذَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنَفِيِّ بِالْيَمَامَةِ؛ فَأَكْرَمَهُ. وَقِيلَ: بَعَثَهُ إِلَىٰ هَوْذَةَ، وَإِلَىٰ ثُمَامَةَ بْنِ أُثَالٍ الْحَنَفِيِّ، فَلَمْ يُسْلِمْ هَوْذَةُ، وَأَسْلَمَ ثُمَامَةُ بَعْدَ ذَلِكَ.

فَهَؤُلَاءِ السِّتَّةُ -قِيلَ- هُمُ الَّذِينَ بَعَثَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ.

فَهَذَا يَتَعَلَّقُ بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَمِنَ الدَّعْوَةِ مَا كَانَ مِنْ إِرْسَالِ النَّبِيِّ ﷺ الْكُتُبَ، وَكَذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ إِرْسَالِهِ الرُّسُلَ إِلَىٰ الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَإِلَىٰ إِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ.

*** بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ إِلَىٰ جَعْفَرٍ وَعَبْدِ اللهِ ابْنَيِ الْجُلَنْدِيِّ الْأَزْدِيَّيْنِ بِعُمَانَ،** فَأَسْلَمَا، وَخَلَّيَا بَيْنَ عَمْرٍو وَبَيْنَ الصَّدَقَةِ وَالْحُكْمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَلَمْ يَزَلْ بَيْنَهُمْ حَتَّىٰ بَلَغَتْهُ وَفَاةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

---

(١) أخرجه ابن سعد في «**الطبقات**»: (١/ ١٣٤)، عن الواقدي، عن عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، مرسلا، وأخرجه ابن سعد أيضًا: (١/ ٢٦٠-٢٦١) عن الواقدي، بأسانيد له، عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم، وأخرجه أيضًا: (٨/ ٢١٢)، ومن طريقه: الطبري في «**تاريخه**»: (١١/ ٦١٧)، عن الواقدي، بإسناده، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، مرسلا.

*** وَبَعَثَ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ إِلَىٰ الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَىٰ الْعَبْدِيِّ مَلِكِ الْبَحْرَيْنِ** قَبْلَ مُنْصَرَفِهِ ﷺ مِنَ (الْجِعِرَّانَةِ) -وَقِيلَ: قَبْلَ الْفَتْحِ- فَأَسْلَمَ وَصَدَقَ.

*** وَبَعَثَ الْمُهَاجِرَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِيَّ إِلَىٰ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ الْحِمْيَرِيِّ بِالْيَمَنِ،** فَقَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي.

*** وَبَعَثَ أَبَا مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيَّ وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَىٰ الْيَمَنِ** عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ تَبُوكَ؛ دَاعِيَيْنِ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَأَسْلَمَ عَامَّةُ أَهْلِهَا طَوْعًا مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ، ثُمَّ بَعَثَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ إِلَيْهِمْ وَوَافَاهُ بِمَكَّةَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ.

*** وَبَعَثَ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيَّ إِلَىٰ ذِي الْكُلَاعِ الْحِمْيَرِيِّ وَذِي عَمْرٍو،** يَدْعُوهُمَا إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَأَسْلَمَا، وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَرِيرٌ رضي الله عنه عِنْدَهُمْ.

*** وَبَعَثَ عَمْرَو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ إِلَىٰ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ بِكِتَابٍ،** وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِكِتَابٍ آخَرَ مَعَ السَّائِبِ بْنِ الْعَوَّامِ أَخِي الزُّبَيْرِ، فَلَمْ يُسْلِمْ.

*** وَبَعَثَ إِلَىٰ فَرْوَةَ بْنِ عَمْرٍو الْجُذَامِيِّ يَدْعُوهُ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ،** وَكَانَ فَرْوَةُ عَامِلًا لِقَيْصَرَ بِمَعَانَ، فَأَسْلَمَ، وَكَتَبَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بِإِسْلَامِهِ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ هَدِيَّةً مَعَ مَسْعُودِ بْنِ سَعْدٍ، وَهِيَ بَغْلَةٌ شَهْبَاءُ، يُقَالُ لَهَا: فِضَّةُ، وَفَرَسٌ يُقَالُ لَهَا: الظَّرِبُ، وَحِمَارٌ يُقَالُ لَهُ: يَعْفُورُ، وَبَعَثَ أَثْوَابًا، وَقُبَاءَ سُنْدُسٍ مُخَوَّصٍ بِالذَّهَبِ، فَقَبِلَ هَدِيَّتَهُ، وَوَهَبَ لِمَسْعُودِ بْنِ سَعْدٍ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَنَشًّا.

*** وَبَعَثَ عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيَّ بِكِتَابٍ إِلَىٰ الْحَارِثِ وَمَسْرُوحٍ وَنُعَيْمِ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ مِنْ حِمْيَرَ»**[1].

---

(١) «**زاد المعاد**» لابن القيم: (١/ ١١٦-١٢٠)، باختصار.

فَالنَّبِيُّ ﷺ يُرْسِلُ الرُّسُلَ إِلَىٰ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا، يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الدُّخُولِ فِي دِينِ اللهِ ﷻ وَتَرْكِ الشِّرْكِ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ.

وَهَذِهِ دَعْوَةٌ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَمِنْ أَعْظَمِ وَسَائِلِ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَمَا تَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ وَسِيلَةً يُدْعَىٰ بِهَا إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِمَّا أَبَاحَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُ وَهَدَاهُ إِلَيْهِ إِلَّا وَاتَّخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

كَانَ ﷺ يَخْرُجُ إِلَىٰ النَّاسِ فِي أَسْوَاقِهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَيَلْقَىٰ مِنْهُمُ الْأَذَىٰ، يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَ بِأَيْدِيهِمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَهُمْ يُؤْذُونَهُ ﷺ، يَقُولُ: «**مَنْ يُؤْوِينِي حَتَّىٰ أُبَلِّغَ كَلِمَةَ اللهِ وَلَهُ الْجَنَّةُ؟**»(١)، وَهُمْ يَسْخَرُونَ مِنْهُ ﷺ، بَلْ وَيَنَالُهُ مِنْهُمُ الْأَذَىٰ ﷺ.

---

(١) أخرجه أحمد: (٣/ ٣٢٢-٣٢٣ و٣٣٩)، وابن حبان: (١٥/ ٤٧٤-٤٧٦، رقم ٧٠١٢)، والحاكم: (٢/ ٦٢٤-٦٢٥)، والبيهقي في «**الكبرىٰ**»: (٩/ ٩)، من حديث: جَابِرٍ، قَالَ:

مَكَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، يَتْبَعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ وَمَجَنَّةَ، وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمِنًىٰ، يَقُولُ: «**مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّىٰ أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي، وَلَهُ الْجَنَّةُ؟**»،... الحديث.

وهو بنحوه عند أبي داود: (٤/ ٢٣٤-٢٣٥، رقم ٤٧٣٤)، والترمذي: (٥/ ١٨٤، رقم ٢٩٢٥)، وابن ماجه: (١/ ٧٣، رقم ٢٠١)، بلفظ: «**أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَىٰ قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**».

والحديث صحح إسناده الألباني في «**الصحيحة**»: (١/ ١٣٣-١٣٤، رقم ٦٣) و(٤/ ٥٩١-٥٩٢، رقم ١٩٤٧).

يَغْشَىٰ النَّاسَ فِي مَجَالِسِهِمْ، وَيَذْهَبُ إِلَيْهِمْ فِي أَسْوَاقِهِمْ وَمُنْتَدَيَاتِهِمْ، وَيَدُورُ عَلَيْهِمْ فِي الْمَوْسِمِ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَّا نَزَلَ الْمَدِينَةَ ﷺ وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ كَانَ يُرْسِلُ الرُّسُلَ، وَيَكْتُبُ الْكُتُبَ؛ يَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَلَمْ يَتْرُكْ أَحَدًا لِعِظَمِ مَكَانِهِ.. وَلَمْ يَتْرُكْ أَحَدًا لِارْتِفَاعِ قَدْرِهِ وَعَظِيمِ مُلْكِهِ إِلَّا وَدَعَاهُ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرْسَلَ الرُّسُلَ وَكَتَبَ الْكُتُبَ إِلَىٰ هِرَقْلَ، وَكَذَلِكَ أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ كِسْرَىٰ وَإِلَىٰ النَّجَاشِيِّ، وَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَىٰ دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كَمَا دَعَا الْوَثَنِيِّينَ إِلَىٰ الدُّخُولِ فِي دِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَتْ حَيَاتُهُ دَعْوَةً إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَإِلَىٰ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَإِلَىٰ حِيَاطَةِ جَنَابِ التَّوْحِيدِ أَنْ يُثْلَمَ جَنَابُهُ، وَإِلَىٰ حِمَايَةِ سَوَادِ حَدَقَةِ التَّوْحِيدِ أَنْ تُخْدَشَ -بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي وَنَفْسِي ﷺ-.(*).

*** وَمِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى عَالَمِيَّةِ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ: نَبْذُ الْعُنْصُرِيَّةِ وَالْعَصَبِيَّةِ؛ فَاللهُ جَلَّ وَعَلَا كَرَّمَ بَنِي آدَمَ، وَفَضَّلَهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ تَفْضِيلًا عَظِيمًا.**

قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وَنُقْسِمُ مُؤَكِّدِينَ أَنَّنَا كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ بِالْعَقْلِ، وَالنُّطْقِ، وَالتَّمْيِيزِ، وَاعْتِدَالِ الْقَامَةِ، وَحُسْنِ الصُّورَةِ، وَبِتَسْخِيرِ جَمِيعِ مَا فِي الْأَرْضِ لَهُمْ، وَحَمَلْنَاهُمْ فِي

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُهَذَّبِ زَادِ الْمَعَادِ» - الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةُ - السَّبْتُ ٢١ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٥هـ | ٢٢-٣-٢٠١٤م.

الْبَرِّ عَلَىٰ الدَّوَابِّ وَالْمَرَاكِبِ الَّتِي هَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صُنْعِهَا، وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَحْرِ عَلَىٰ السُّفُنِ، وَرَزَقْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ لَذِيذِ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَنَاكِحِ، وَمُمْتِعَاتِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَسَائِرِ الْحَوَاسِّ، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ تَفْضِيلًا عَظِيمًا.(*).

* **وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَلَقَ النَّاسَ جَمِيعًا مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَجَعَلَ أَرْفَعَهُمْ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَتْقَاهُمْ لَهُ؛ قَالَ** جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لحجرات: ١٣].

يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ، فَالْمَجْمُوعَةُ الْبَشَرِيَّةُ كُلُّهَا تَلْتَقِي عَلَىٰ أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَبَيْنَ النَّاسِ أُخُوَّةٌ إِنْسَانِيَّةٌ عَامَّةٌ، وَجَعَلْنَاكُمْ جُمُوعًا عَظِيمَةً وَقَبَائِلَ مُتَعَدِّدَةً؛ لِيَعْرِفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي قُرْبِ النَّسَبِ وَبُعْدِهِ، لَا لِلتَّفَاخُرِ بِالْأَنْسَابِ وَالتَّعَالِي بِالْأَحْسَابِ، إِنَّ أَرْفَعَكُمْ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَتْقَاكُمْ لَهُ.

إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ عِلْمًا كَامِلًا شَامِلًا بِظَوَاهِرِكُمْ، وَيَعْلَمُ أَنْسَابَكُمْ، خَبِيرٌ عَلَىٰ سَبِيلِ الشُّهُودِ وَالْحُضُورِ بِبَوَاطِنِكُمْ، لَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ، فَاجْعَلُوا التَّقْوَىٰ زَادَكُمْ إِلَىٰ مَعَادِكُمْ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الإسراء: ٧٠].

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [لحجرات: ١٣].

لَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ النَّاسَ جَمِيعًا سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ، وَأَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ عَرَبِيٍّ وَعَجَمِيٍّ، وَلَا فَضْلَ لِأَحْمَرَ عَلَىٰ أَسْوَدَ، إِلَّا بِتَقْوَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَطَاعَتِهِ.

وَأَخْرَجَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ يَدَيْهِ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، فَصَارُوا عَابِدِينَ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مُوَحِّدِينَ، وَأَعْلَمَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ -كَمَا أَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»(١)-: «**أَيُّهَا النَّاسُ! كُلُّكُمْ لِآدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنَ التُّرَابِ، أَلَا لَا فَضْلَ**

(١) «مُسْنَدُ الإِمامِ أَحْمَدَ» (٥/ ٤١١، رَقْم ٢٣٤٨٩)، وأَخْرَجَهُ -أَيضًا- ابنُ المُبَارَكِ في «المسند» (رَقْم ٢٣٩)، والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (١/ رَقْم ٥١)، ومن طريقه: أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦/ رَقْم ٧٣٠٠)، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، قال: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، أَنَّهُ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَىٰ عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَىٰ أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَىٰ أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَىٰ، أَبَلَّغْتُ؟**»، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟**»، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟**»، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟**»، قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: «**فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟**»، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**».

وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥/ رَقْم ٤٧٤٩)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٠٠، ترجمة ٢١٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ رَقْم ٤٧٧٤)، مِنْ حَدِيثِ: جَابِرٍ رضي الله عنه.

والحديثُ صَحَّحَهُ لِغَيرِهِ الأَلبانِيُّ في «الصَّحِيحَةِ» (٦/ رَقْم ٢٧٠٠)، وفي «صَحِيحِ التَّرغيبِ وَالتَّرهِيبِ» (٣/ رَقْم ٢٩٦٤).

لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَىٰ عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَىٰ أَسْوَدَ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَىٰ أَحْمَرَ؛ إِلَّا بِتَقْوَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَىٰ دَعَائِمَ الدِّينِ، وَأَقَامَ أَسَاسَ الْمِلَّةِ الْمَتِينَ، وَأَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ، بَعْدَ أَنْ أَرْسَىٰ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَعَالِمَ الْمِلَّةِ الْغَرَّاءِ، وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَحَجَّةَ وَأَقَامَ الْحُجَّةَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلَا لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**».

وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْأُخُوَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَعْظَمِ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ حُرْمَةَ الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ، وَنَادَىٰ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ أَجْمَعِينَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ!**»، فَتَوَجَّهَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْخِطَابِ إِلَىٰ النَّاسِ، وَمَا كَانَ حَاضِرًا مَعَهُ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ، وَلَكِنَّهُ ﷺ كَأَنَّمَا يُشِيرُ أَنَّهُ لَا فَلَاحَ لِلْبَشَرِيَّةِ وَلَا سَعَادَةَ لَهَا إِلَّا بِاتِّبَاعِ نَهْجِهِ ﷺ.

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ، كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ: «**مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ**»(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (رَقْم ٦٠١١)، ومُسلِمٌ (رَقْم ٢٥٨٦)، مِنْ حَدِيثِ: النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه، بلفظ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ**»، وفي رِوَايَةِ البُخَارِيِّ، بِلَفْظِ: «**تَرَىٰ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ،...**» الحديثَ، وفي رواية لمسلمٍ: «**الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنِ اشْتَكَىٰ رَأْسُهُ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّىٰ**

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ «**أَنَّ الْمُسْلِمَ لِلْمُسْلِمِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا** -وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ﷺ-»(١).

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ حَذَّرَ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَبَيَّنَ أَنَّ «**مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ، يُقَاتِلُ لِلْعَصَبِيَّةِ، وَيَقْتُلُ لِلْعَصَبِيَّةِ؛ فَقِتْلَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ**»(٢).

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْعَصَبِيَّةَ مُنْتِنَةٌ، وَأَنَّهَا مِنْ دَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا»(٣)، عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ،

=

وَالسَّهَرِ»، وفي روايةٍ لَهُ أَيْضًا: «**الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنِ اشْتَكَىٰ عَيْنُهُ اشْتَكَىٰ كُلُّهُ، وَإِنِ اشْتَكَىٰ رَأْسُهُ اشْتَكَىٰ كُلُّهُ**».

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (رَقْم ٤٨١ و٢٤٤٦ و٦٠٢٦)، ومُسْلِمٌ (رَقْم ٢٥٨٥)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، بلفظِ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**».

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (رَقْم ١٨٤٨)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، بِلَفْظِ: «...، **مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَىٰ عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ**،...» الحديث، وفي رواية: «...، **مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِلْعَصَبَةِ، وَيُقَاتِلُ لِلْعَصَبَةِ، فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي**،...».

قال محمد فؤاد عبد الباقي في هامش «صَحِيح مُسْلِم» (٣/ ١٤٧٦ - ١٤٧٧/ التعليق ٥) في قوله: (لعصبة)، قال: «عُصبَةُ الرَّجُلِ: أَقارِبُهُ مِن جِهَةِ الأَبِ، سُمُّوا بِذَلِكَ؛ لأَنَّهُمْ يَعصبُونَهُ ويَعْتَصِبُ بِهِمْ، أي: يُحِيطُونَ بِهِ وَيشْتَدُّ بِهِم، وَالمَعْنَىٰ: يَغْضَبُ ويُقاتِلُ ويَدْعُو غيرَه كذلك؛ لا لِنُصرَةِ الدِّينِ وَالحقِّ بَلْ لِمَحضِ التَّعَصُّبِ لِقَومِهِ ولِهَواه كما يُقاتِلُ أهلُ الْجَاهِلِيَّةِ فإنَّهُم إنَّما كانوا يُقاتِلونَ لِمَحْضِ العَصَبيةِ».

(٣) «صَحِيح الْبُخَارِيِّ» (رَقْم ٣٥١٧ و٤٩٠٥ و٤٩٠٧)، و«صَحِيح مُسْلِمٍ» (رَقْم ٢٥٨٤).

فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ لَعَّابًا رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ -كَسَعَهُ: أَيْ ضَرَبَهُ عَلَىٰ دُبُرِهِ أَوْ عَلَىٰ عَجِيزَتِهِ بِيَدِهِ أَوْ بِرِجْلِهِ أَوْ بِعُرْضِ سَيْفِهِ-، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّىٰ تَدَاعَىٰ الْقَوْمُ.

فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ! وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ!

وَسَمِعَهَا النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ، فَخَرَجَ، فَقَالَ: «**مَا بَالُ دَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ؟**».

فَلَمَّا أُخْبِرَ ﷺ قَالَ: «**دَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**».

حَوْلَ هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ -حَوْلَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ كَلَقَبَيْنِ- تَدَاعَىٰ مَنْ تَدَاعَىٰ عَصَبِيَّةً، فَرَفَضَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، وَقَدْ مَدَحَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمُهَاجِرِينَ فِي كِتَابِهِ، وَمَدَحَ الْأَنْصَارَ، وَمَدَحَ النَّبِيُّ ﷺ الْأَنْصَارَ فِي صَحِيحِ سُنَّتِهِ، وَمَدَحَ الْمُهَاجِرِينَ.

وَلَكِنْ لَمَّا تَدَاعَوْا حَوْلَ الِاسْمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ عَصَبِيَّةً غَضِبَ ﷺ، وَقَالَ: «**مَا بَالُ دَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ؟! دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**»(١)، «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، وَكَفَىٰ بِالْمُسْلِمِ إِثْمًا أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ**»(٢).

---

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٢) أخرجه مسلم «رَقْم ٢٥٦٤»، مِنْ حَدِيثِ: أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: «...، **الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَىٰ هَاهُنَا** -وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- **بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**».

=

إِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ الْإِسْلَامَ لُحْمَةً وَسُدًى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالْمُسْلِمُونَ شِعَارُهُمُ الَّذِي يَتَعَصَّبُونَ حَوْلَهُ هُوَ الْإِسْلَامُ الْعَظِيمُ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَخْبَرَنَا «**أَنَّ أَقْوَامًا سَيَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا، إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ**»، فَبَيَّنَ ﷺ أَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَإِنَّمَا «**هُوَ كَالْجُعَلِ يُدَهْدِهُ الْخُرْءَ بِفِيهِ**»، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْزِلَتَهُ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ كَالْجُعَلِ؛ وَهُوَ الْجِعْرَانُ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْعَامَّةِ، «**يُدَهْدِهُ**»: أَيْ يُدَحْرِجُ الْخُرْءَ -أَعَزَّكُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ- «**بِفِيهِ**»؛ مِنْ وَضَاعَتِهِ وَحَقَارَتِهِ.

«**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا، وَإِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ عِنْدَ اللهِ أَهْوَنَ مِنَ الْجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الْخُرْءَ بِفِيهِ**»(١).

بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ خُطُورَةَ الْعَصَبِيَّةِ، وَخُطُورَةَ الِانْتِمَاءِ إِلَىٰ الشِّعَارَاتِ الْحِزْبِيَّةِ، وَإِلَىٰ الِانْتِمَاءَاتِ الضَّيِّقَةِ الرَّدِيَّةِ.

=

والحديثُ بنَحوِهِ في «الصَّحِيحين» من روايةِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، بلَفْظِ: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ،...**» الحديثَ، وَقوله: «**لَا يُسلمهُ**» أَي: لَا يتْركهُ مَعَ مَا يُؤْذِيه، بل ينصره وَيدْفَع عَنهُ، قاله ابن الجوزي في «كشف المشكل» (٢/ ٤٨٤).

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاودَ (رَقْم ٥١١٦)، والتِّرْمِذِيُّ (رَقْم ٣٩٥٥ و٣٩٥٦)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، ولفظ أبي داود: «...، **لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَىٰ اللهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتَنَ**»، وروي عن حذيفة رضي الله عنه نحوه.

والحديثُ حسَّنَ إسنادَهُ وصحَّحَ مَتْنَهُ الأَلْبَانِيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ رَقْم ٢٩٢٢ و٢٩٦٥).

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ تَعَزَّىٰ بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ وَلَا تَكْنُوهُ**»، وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ: «**فَأَعِضُّوهُ بِهَنِ أَبِيهِ وَلَا تَكْنُوا**»(١).

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مَنِ انْتَمَىٰ أَوِ انْتَسَبَ إِلَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ عَصَبِيَّةً بِشِعَارٍ مِنْ شِعَارَاتِ الْعَصَبِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَهَذَا جَزَاؤُهُ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحِّدِينَ: «**فَأَعِضُّوهُ** -فَأَمِصُّوهُ- **بِهَنِ أَبِيهِ وَلَا تَكْنُوهُ**»، هَكَذَا ظَاهِرًا، وَمَا أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْعَىٰ لِفُحْشٍ، وَلَكِنْ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ مَا هُنَالِكَ مِنْ قُبْحِ الْعَصَبِيَّةِ بِانْتِمَائِهَا.

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ بَيَّنَ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ لِآدَمَ، وَأَنَّ آدَمَ قَدْ خُلِقَ مِنَ التُّرَابِ: «**كُلُّكُمْ لِآدَمَ، وَآدَمُ مَخْلُوقٌ مِنْ تُرَابٍ، فَلَا يَفْخَرَنَّ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ**»(٢).

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَإِنَّ اللهَ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّىٰ لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ**»(١)، وَ«**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ**

---

(١) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ رَقْم ٣٧١٨٢ و٣٧١٨٣)، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٣٦، رَقْم ٢١٢٣٣ و٢١٢٣٤ و٢١٢٣٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (رَقْم ٩٦٣)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٨/ ١٣٦ - ١٣٧) و(٩/ ٣٥٧ - ٣٥٨)، وابن حبان في «صحيحه» (رَقْم ٣١٥٣/ الإحسان)، والطبراني في «الكبير» (١/ رَقْم ٥٣٢)، مِنْ حَدِيثِ: أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (رَقْم ٧٤٥)، وفي «الصحيحة» (١/ رَقْم ٢٦٩).

(٢) أخرجَهُ أبو دَاودَ (رَقْم ٥١١٦)، والترمذيُّ (رَقْم ٣٩٥٥ و٣٩٥٦)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، بلفظ: «**إِنَّ اللهَ عز وجل قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ: مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ**،...» الحديث، وقَدْ تَقَدَّمَ.

(١) أخرجه مسلمٌ (رَقْم ٢٨٦٥)، وهو جزءٌ مِنْ حَدِيثِ: عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رضي الله عنه.

مِنْ كِبْرٍ»(١)، وَأَوْرَدَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ النَّارَ.

إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا يَتَعَصَّبُونَ إِلَىٰ الْعَصَبِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ مَقَتَهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ «**إِذْ نَظَرَ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ، عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**»، حَتَّىٰ جَاءَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهُوَ يَرُدُّ الْأَمْرَ إِلَىٰ نِصَابِهِ(٢).

لَمَّا عَيَّرَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه بِلَالًا رضي الله عنه، عَيَّرَهُ بِلَوْنِ أُمِّهِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ السَّوْدَاءِ!

وَاشْتَكَىٰ بِلَالٌ أَبَا ذَرٍّ رضي الله عنهما إِلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ!**»(٣).

النَّبِيُّ ﷺ بَيَّنَ أَنَّ «**مَنْ دَعَا بِدَعْوَىٰ الْعَصَبِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ أَوْرَدَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ النَّارَ**».

---

(١) أخرجَهُ مُسلِمٌ (رَقْم ٩١)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

(٢) أَخرجَهُ مُسلِمٌ (رَقْم ٢٨٦٥)، مِنْ حَدِيثِ: عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (رَقْم ٣٠ و٢٥٤٥ و٦٠٥٠)، ومسلم (رَقْم ١٦٦١)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ! أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**،...» الحديث.

وأما الرجل الذي عيره أبو ذر، وقوله له: «يا ابن السوداء»، فأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ رَقْم ٤٧٧٢)، بإسناد ضعيف، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: عَيَّرَ أَبُو ذَرٍّ بِلَالًا بِأُمِّهِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ السَّوْدَاءِ، وَإِنَّ بِلَالًا أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَغَضِبَ، فَجَاءَ أَبُو ذَرٍّ وَلَمْ يَشْعُرْ فَأَعْرَضَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ،...الحديث، وانظر: «غوامض الأسماء المبهمة» لابن بشكوال (٢/ ٨٤٧)، و«شرح صَحِيح الْبُخَارِيِّ» لابن بطال (١/ ٨٧).

قَالُوا: وَإِنْ صَلَّىٰ وَإِنْ صَامَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**وَإِنْ صَلَّىٰ وَإِنْ صَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ**»(١).

لَا انْتِمَاءَ إِلَّا إِلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، أَعَزَّنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ، وَلَيْسَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْتَمِي إِلَىٰ عَائِلَةٍ وَلَا قَبِيلَةٍ وَلَا شَعْبٍ وَلَا وَطَنٍ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ مِنْ أَنْسَابِنَا مَا نَصِلُ بِهِ أَرْحَامَنَا، فَقَالَ: «**تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ**»(٢)، وَلَكِنْ لَا عَصَبِيَّةَ، وَلَا انْتِمَاءَ إِلَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ بِالْعَصَبِيَّةِ، وَإِنَّمَا الِانْتِمَاءُ إِلَىٰ دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي أَخْرَجَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ؛ لِكَيْ يَعْلَمَ النَّاسُ كُلُّ النَّاسِ أَنَّهُمْ لِآدَمَ، وَأَنَّ آدَمَ مَخْلُوقٌ مِنْ تُرَابٍ، وَأَنَّهُ لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَىٰ عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَىٰ أَسْوَدَ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَىٰ أَحْمَرَ؛ إِلَّا بِتَقْوَىٰ اللهِ، إِلَّا بِطَاعَةِ اللهِ(١).

---

(١) هو جزء مِنْ حَدِيثِ الحارث الأشعري رضي الله عنه الطويل، الذي أخرجه الترمذي (رَقْم ٢٨٦٣ و٢٨٦٤)، بلفظ: «...، **مَنِ ادَّعَىٰ دَعْوَىٰ الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ، وَإِنْ صَلَّىٰ وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَىٰ اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ المُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ**» الحديث، زاد أحمد في «المسند» (٤/ ١٣٠ و٢٠٢): «**وَإِنْ صَلَّىٰ وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ**».

والحديث صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ رَقْم ٥٥٢ و٨٧٧).

(٢) أخرجه الترمذيُّ (رَقْم ١٩٧٩)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وجوَّدَ إسنادَهُ الألبانِيُّ في «الصحيحَةِ» (١/ رَقْم ٢٧٦).

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

وَنَبِيُّكُمْ ﷺ يُخْبِرُكُمْ مُنْذِرًا وَمُحَذِّرًا، فَيَقُولُ ﷺ: «**مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»(١).

وَقَدْ نَادَىٰ النَّبِيُّ ﷺ الْعَبَّاسَ -عَمَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ- وَنَادَىٰ عَمَّتَهُ صَفِيَّةَ، وَنَادَىٰ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَعَنِ الصَّحَابَةِ وَالْآلِ أَجْمَعِينَ-: «**اعْمَلُوا؛ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ! سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»(٢).

لَا أَحْسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا أَنْسَابَ، وَإِنَّمَا هُوَ الدِّينُ، فَمَنْ جَاءَ رَبَّهُ مُسْلِمًا مُوقِنًا مُحْسِنًا فَلَهُ الْمَقَامُ الْأَسْنَىٰ عِنْدَ رَبِّهِ وَهُوَ مُعَزَّزٌ مُكَرَّمٌ، وَمَنْ جَاءَ -وَلَوْ كَانَ شَرِيفًا قُرَشِيًّا- بِالْعَمَلِ الطَّالِحِ فَلَهُ الْمَكَانُ الْأَرْدَىٰ وَلَا كَرَامَةَ؛ لِأَنَّهُ لَا تَفَاضُلَ عِنْدَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَّا بِالْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ الِانْتِمَاءَ إِنَّمَا هُوَ إِلَىٰ دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ، إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، سَوَّىٰ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بَيْنَنَا جَمِيعًا فِي الْحُقُوقِ، وَرَفَعَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بَعْضَنَا عَلَىٰ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ بِالتَّقْوَىٰ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ،

---

(١) أخرجَهُ مسلمٌ (رَقْم ٢٦٩٩)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قال النووي في «شرح صَحِيح مُسْلِم» (١٧/ ٢٢ - ٢٣) في قَوْلِهِ ﷺ: «**وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»، قال: «مَعْنَاهُ: مَنْ كَانَ عَمَلُهُ نَاقِصًا لَمْ يُلْحِقْهُ بِمَرْتَبَةِ أصحابِ الأعمَالِ؛ فينْبَغِي أَنْ لا يَتَّكِلَ عَلَىٰ شَرَفِ النَّسَبِ وَفَضِيلَةِ الْآبَاءِ وَيُقَصِّرَ فِي الْعَمَلِ».

(٢) أخرجه البخاري (رَقْم ٢٧٥٣ و٤٧٧١) ، ومسلم (رَقْم ٢٠٦)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

فَمَنْ كَانَ تَقِيًّا -وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا- كَانَتْ لَهُ الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَوْقَ مَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ -وَلَوْ كَانَ شَرِيفًا قُرَشِيًّا-.(*).

*** وَمِنْ أَعْظَمِ دَلَائِلِ عَالَمِيَّةِ الْإِسْلَامِ: أَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ يَحُلُّ كُلَّ الْمُشْكِلَاتِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ؛** «فَهَذِهِ كَلِمَاتٌ تَتَعَلَّقُ بِمَوْضُوعِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ، وَأَنَّهُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَأَصْلَحُ، وَيُرْشِدُ الْعِبَادَ فِي عَقَائِدِهِ، وَأَخْلَاقِهِ، وَمُعَامَلَاتِهِ، وَتَوْجِيهَاتِهِ، وَتَأْسِيسَاتِهِ إِلَىٰ مَا يَنْفَعُهُمْ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ، وَبَيَانِ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَىٰ إِصْلَاحِ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الْخَلْقِ الْإِصْلَاحَ التَّامَّ إِلَّا بِهِ، وَبَيَانِ أَنَّ جَمِيعَ النُّظُمِ الْمُخَالِفَةِ لِدِينِ الْإِسْلَامِ لَا يَسْتَقِيمُ بِهَا دِينٌ وَلَا دُنْيَا إِلَّا إِذَا اسْتُمِدَّتْ مِنْ تَعَالِيمِ الدِّينِ.

وَهَذَا الَّذِي قُلْنَاهُ قَدْ بَرْهَنَتِ الْمَحْسُوسَاتُ وَالتَّجَارِبُ عَلَىٰ صِدْقِهِ وَصِحَّتِهِ كَمَا دَلَّتِ الشَّرَائِعُ وَالْفِطَرُ وَالْعُقُولُ السَّلِيمَةُ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ؛ فَإِنَّ الدِّينَ كُلَّهُ صَلَاحٌ وَإِصْلَاحٌ، وَكُلُّهُ دَفْعٌ لِلشُّرُورِ وَالْأَضْرَارِ، وَكُلُّهُ يَدْعُو إِلَىٰ الْخَيْرِ وَالْهُدَىٰ، وَيُحَذِّرُ مِنَ الشَّرِّ وَأَنْوَاعِ الرَّدَىٰ.

وَعِنْدَ عَرْضِ بَعْضِ النَّمَاذِجِ مِنْ تَعْلِيمَاتِهِ وَتَوْجِيهَاتِهِ يَظْهَرُ لِكُلِّ عَاقِلٍ مُنْصِفٍ صِحَّةُ هَذَا، وَأَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ مُضْطَرُّونَ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ فِي حَالَةٍ مِنْ أَحْوَالِهِمْ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ» - الْجُمُعَةُ ١٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٠هـ | ٢٧-١١-٢٠٠٩م.

ذَلِكَ بِأَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا قَدْ جَاشَتْ بِمُشْكِلَاتِ الْحَيَاةِ، وَالْبَشَرُ كُلُّهُمْ يَتَخَبَّطُونَ فِي دَيَاجِيرِ الظُّلُمَاتِ(١)؛ فَيَهْتَدُونَ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ وَيَضِلُّونَ مِنْ وُجُوهٍ أُخْرَىٰ.

وَقَدْ يَسْتَقِيمُ لَهُمْ أَمْرٌ مِنْ بَعْضِ وُجُوهِهِ وَيَقَعُ الِانْحِرَافُ فِي بَقِيَّةِ أَنْحَائِهِ، وَهَذَا نَاتِجٌ مِنْ أَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا جَهْلٌ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الدِّينُ وَمَا أَرْشَدَ إِلَيْهِ، وَإِمَّا مُكَابَرَةٌ وَغَيٌّ، وَمَقَاصِدُ سَيِّئَةٌ وَأَغْرَاضٌ فَاسِدَةٌ حَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الصَّلَاحِ الَّذِي يَعْرِفُونَهُ، كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ كَثِيرًا.

الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ أَخْرَجَ الْخَلْقَ مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالْكُفْرِ وَالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَصْنَافِ الشُّرُورِ إِلَىٰ نُورِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ وَالْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ وَجَمِيعِ الْخَيْرَاتِ.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾. [المائدة: ٣].

---

(١) (الدَّيَاجِيرُ): جمعُ دَيْجُور، والمراد: سواد الظلمات.
انظر: «لسان العرب»: (٤/ ٢٧٨)، مادة: (دجر).

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام: ١١٥]؛ أَيْ كَلِمَاتُهُ الدِّينِيَّةُ الَّتِي شَرَعَ بِهَا الشَّرَائِعَ وَسَنَّ الْأَحْكَامَ.

وَقَدْ جَعَلَهَا اللهُ تَامَّةً مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، لَا نَقْصَ فِيهَا بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، صِدْقًا فِي إِخْبَارِهَا عَنِ اللهِ وَعَنْ تَوْحِيدِهِ وَجَزَائِهِ وَصِدْقِ رُسُلِهِ فِي أُمُورِ الْغَيْبِ، عَدْلًا فِي أَحْكَامِهَا، أَوَامِرُهَا كُلُّهَا عَدْلٌ وَإِحْسَانٌ وَخَيْرَاتٌ وَصَلَاحٌ وَإِصْلَاحٌ، وَنَوَاهِيهَا كُلُّهَا فِي غَايَةِ الْحِكْمَةِ، تَنْهَىٰ عَنِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ وَالْأَضْرَارِ الْمُتَنَوِّعَةِ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَىٰ النَّفْيِ الْمُتَقَرِّرِ الَّذِي تَقَرَّرَ حُدُوثُهُ فِي الْعُقُولِ وَالْفِطَرِ؛ فَمَا أَمَرَ بِشَيْءٍ فَقَالَ الْعَقْلُ: لَيْتَهُ نَهَىٰ عَنْهُ! وَلَا نَهَىٰ عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ الْعَقْلُ: لَيْتَهُ أَمَرَ بِهِ!

لَقَدْ أَبَاحَ هَذَا الدِّينُ كُلَّ طَيِّبٍ نَافِعٍ، وَحَرَّمَ كُلَّ خَبِيثٍ ضَارٍّ؛ ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فَهُوَ الدِّينُ الَّذِي يُوَجِّهُ الْعِبَادَ إِلَىٰ كُلِّ أَمْرٍ نَافِعٍ لَهُمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَيُحَذِّرُهُمْ عَنْ كُلِّ أَمْرٍ ضَارٍّ فِي دِينِهِمْ وَمَعَاشِهِمْ، وَيَأْمُرُهُمْ عِنْدَ اشْتِبَاهِ الْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ وَالْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ بِالْمُشَاوَرَةِ فِي اسْتِخْرَاجِ مَا تَرَجَّحَ مَصْلَحَتُهُ، وَدَفْعِ مَا تَرَجَّحَ مَفْسَدَتُهُ.

وَهُوَ الدِّينُ الْعَظِيمُ الشَّامِلُ الَّذِي أَمَرَ بِالْإِيمَانِ بِكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللهُ، وَبِكُلِّ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللهُ: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥].

وَهُوَ الدِّينُ الْعَظِيمُ الَّذِي شَهِدَ الرَّبُّ الْعَظِيمُ بِصِحَّتِهِ وَكَمَالِهِ، وَشَهِدَ بِذَلِكَ الْكُمَّلُ مِنَ الْخَلْقِ وَخُلَاصَتُهُمْ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٨-١٩].

وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي مَنِ اتَّصَفَ بِهِ جَمَعَ اللهُ لَهُ جَمَالَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَكَمَالَ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

فَلَا أَحْسَنَ مِمَّنْ هُوَ مُخْلِصٌ لِلهِ، مُحْسِنٌ إِلَىٰ عِبَادِ اللهِ، مُخْلِصٌ لِلهِ مُتَّبِعٌ لِشَرِيعَةِ اللهِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ الشَّرَائِعِ وَأَعْدَلُ الْمَنَاهِجِ، فَانْصَبَغَ قَلْبُهُ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ، وَاسْتَقَامَتْ أَخْلَاقُهُ وَأَعْمَالُهُ عَلَىٰ الْهِدَايَةِ وَالتَّسْدِيدِ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].

وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي فَتَحَ أَهْلُهُ الْقَائِمُونَ بِهِ الْمُتَّصِفُونَ بِإِرْشَادِاتِهِ وَتَعَالِيمِهِ الْقُلُوبَ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَالْأَقْطَارَ بِالْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ وَالنُّصْحِ لِنَوْعِ الْإِنْسَانِ.

وُهُوَ الدِّينُ الَّذِي أَصْلَحَ اللهُ بِهِ الْعَقَائِدَ وَالْأَخْلَاقَ، وَأَصْلَحَ بِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَأَلَّفَ بِهِ الْقُلُوبَ الْمُتَشَتِّتَةَ، وَالْأَهْوَاءَ الْمُتَفَرِّقَةَ.

وَهُوَ الدِّينُ الْعَظِيمُ الْمُحْكَمُ غَايَةَ الْإِحْكَامِ فِي أَخْبَارِهِ كُلِّهَا، وَفِي أَحْكَامِهِ، فَمَا أَخْبَرَ إِلَّا بِالصِّدْقِ وَالْحَقِّ، وَلَا حَكَمَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، فَلَمْ يَأْتِ عِلْمٌ صَحِيحٌ يَنْقُضُ شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِهِ، وَلَا حُكْمٌ أَحْسَنُ مِنْ أَحْكَامِهِ.

أُصُولُهُ وَقَوَاعِدُهُ وَأُسُسُهُ تُسَايِرُ الزَّمَانَ السَّابِقَ وَاللَّاحِقَ، فَحَيْثُمَا طُبِّقَتِ الْمُعَامَلَاتُ الْمُتَنَوِّعَةُ بَيْنَ الْأَفْرَادِ وَالْجَمَاعَاتِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ عَلَىٰ أُصُولِهِ تَمَّ بِهَا الْقِسْطُ وَالْعَدْلُ، وَالرَّحْمَةُ وَالْخَيْرُ وَالْإِحْسَانُ؛ لِأَنَّهَا تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]؛ حَافِظُونَ لِأَلْفَاظِهِ عَنِ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ وَالتَّغْيِيرِ، وَحَافِظُونَ لِأَحْكَامِهِ عَنْ الِانْحِرَافِ وَالنَّقْصِ، بَلْ هِيَ فِي أَعْلَىٰ مَا يَكُونُ مِنَ الْعَدْلِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَالتَّيْسِيرِ.

وَهُوَ الدِّينُ الْعَظِيمُ الَّذِي يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ، الصِّدْقُ شِعَارُهُ، وَالْعَدْلُ مَدَارُهُ، وَالْحَقُّ قِوَامُهُ، وَالرَّحْمَةُ رُوحُهُ وَغَايَتُهُ، وَالْخَيْرُ قَرِينُهُ، وَالصَّلَاحُ وَالْإِصْلَاحُ جَمَالُهُ وَأَعْمَالُهُ، وَالْهُدَىٰ وَالرُّشْدُ زَادُهُ.

وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي جَمَعَ بَيْنَ مَطَالِبِ الرُّوحِ وَالْقَلْبِ وَالْجَسَدِ، أَمَرَ اللهُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ الْمُرْسَلِينَ؛ بِعِبَادَتِهِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يُرْضِيهِ، وَبِالْأَكْلِ مِنَ

الطَّيِّبَاتِ، وَاسْتِخْرَاجِ مَا سَخَّرَ اللهُ لِعِبَادِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، فَدَفَعَ الْقَائِمِينَ بِهِ حَقِيقَةً إِلَىٰ كُلِّ عُلُوٍّ وَرُقِيٍّ وَتَقَدُّمٍ صَحِيحٍ.

مَنْ عَرَفَ شَيْئًا مِنْ أَوْصَافِ هَذَا الدِّينِ عَرَفَ عَظِيمَ مِنَّةِ اللهِ بِهِ عَلَىٰ الْخَلْقِ، وَأَنَّ مَنْ نَبَذَهُ وَقَعَ فِي الْبَاطِلِ وَالضَّلَالِ وَالْخَيْبَةِ وَالْخُسْرَانِ»[1].(*).

(١) «**الدين الصحيح يحل جميع المشاكل**» ضمن مجموع مؤلفات السعدي: (٢٣/ ٤١٩-٤٢٤، الرسالة ٦٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنَ: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ رِسَالَةِ: «الدِّينُ الصَّحِيحُ يَحُلُّ جَمِيعَ الْمَشَاكِلِ» - الثُّلَاثَاءُ ١٦ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٧هـ| ٢٦-١-٢٠١٦م.

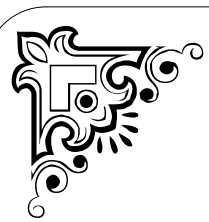

تَقْصِيرُ أَبْنَاءِ الْأُمَّةِ فِي دَعْوَةِ الْعَالَمِ لِلْإِسْلَامِ

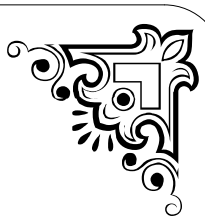

كَيْفَ تَسَنَّىٰ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَتَجَاوَبَ مَعَ هَذَا التَّحَدِّي الْمُتَمَثِّلِ فِي هَذَا التَّكْلِيفِ الْكَبِيرِ بِأَنْ تَكُونَ رِسَالَتُهُ إِلَىٰ النَّاسِ جَمِيعًا وَهُوَ فِي تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ مِنْ عُمُرِهِ الْمُبَارَكِ ﷺ؟

لَمْ تَكُنْ تُوجَدُ فِي حَوْزَةِ الْبَشَرِيَّةِ آنَذَاكَ أَيُّ وَسَائِلِ اتِّصَالٍ إِلَكْتُرُونِيَّةٍ لِتَكُونَ تَحْتَ تَصَرُّفِهِ لِأَدَاءِ هَذِهِ الْمُهِمَّةِ الْكُبْرَىٰ الَّتِي تَشْمَلُ الْعَالَمَ كُلَّهُ، وَلَمْ تَكُنْ هُنَالِكَ أَيَّةُ أَجْهِزَةِ تِلِكْس أَوْ أَجْهِزَةِ فَاكْس بِحَيْثُ كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَخْدِمَهَا ﷺ، مَاذَا كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ؟!!

لِأَنَّهُ ﷺ كَانَ أُمِّيًّا لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ؛ فَقَدِ اسْتَدْعَىٰ إِلَيْهِ أَصْحَابًا يَسْتَطِيعُونَ الْكِتَابَةَ، أَمْلَىٰ عَلَيْهِمْ خَمْسَةَ خِطَابَاتٍ إِلَىٰ هِرَقْلَ إِمْبِرَاطُورِ الرُّومَانِ فِي الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَإِلَىٰ الْمُقَوْقِسِ حَاكِمِ مِصْرَ، وَإِلَىٰ النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ، وَإِلَىٰ مَلِكِ الْيَمَنِ، وَإِلَىٰ كِسْرَىٰ مَلِكِ الْفُرْسِ.

ثُمَّ كَلَّفَ خَمْسَةً مِنَ الصَّحَابَةِ؛ فَامْتَطَىٰ[1] كُلٌّ مِنْهُمْ جَوَادَهُ، **وَأَرْسَلَ بِهِمْ إِلَىٰ**

---

(١) (**امْتَطَىٰ**): أَي اتَّخَذ جواده مَطِيَّةً فِي سيره.

انظر: «**لسان العرب**»: (١٥/ ٢٨٦)، مادة: (مطا).

خَمْسَةِ اتِّجَاهَاتٍ، يَدْعُو الرَّسُولُ أُمَمَ الْعَالَمِ الْمَعْمُورِ مِنْ حَوْلِهِ إِلَىٰ دِينِ اللهِ الَّذِي اخْتَارَهُ اللهُ لِلْعَالَمِ كُلِّهِ(١).

فَهَذَا مُحَمَّدٌ ﷺ.. ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ ﷺ.

هُنَاكَ وَاحِدَةٌ مِنْ تِلْكَ الرَّسَائِلِ الْمُبَارَكَةِ فِي (مَتْحَفِ تُوبْكَابِي) فِي مَدِينَةِ إِسْتَانْبُولَ فِي تُرْكِيَا، تِلْكَ الرِّسَالَةُ يَعْلُوهَا الْغُبَارُ، احْتَفَظَ بِهَا الْأَتْرَاكُ.

وَنَصُّ الرِّسَالَةِ يَبْدَأُ عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي: «مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: أَسْلِمْ تَسْلَمْ...».

وَبَعْدَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ وَرَدَ هَذَا التَّحْذِيرُ الْمُسْتَمَدُّ مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿**قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ٦٤].

---

(١) أخرج مسلم: (٣/ ١٣٩٧-١٣٩٨، رقم ١٧٧٤)، من حديث: أَنَس: «**أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَتَبَ إِلَىٰ كِسْرَىٰ، وَإِلَىٰ قَيْصَرَ، وَإِلَىٰ النَّجَاشِيِّ، وَإِلَىٰ كُلِّ جَبَّارٍ؛ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ**»، وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّىٰ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ.

وفي رواية زيادة: «وَإِلَىٰ أُكَيْدِرَ دُومَةَ».

وأخرج ابن سعد في «**الطبقات الكبرىٰ**»: (١/ ٢٥٨-٢٥٩) تفصيل بَعْثَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الرُّسُلَ بِكُتُبِهِ إِلَىٰ الْمُلُوكِ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ وَمَا كَتَبَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَاسٍ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ، وانظر: «**السيرة**» لابن هشام: (٢/ ٦٠٧).

وَبَعْدَ هَذَا النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ الْحَكِيمِ الَّذِي تَضَمَّنَتْهُ الرِّسَالَةُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِلَىٰ هِرَقْلَ إِمْبِرَاطُورِ الرُّومَانِ، تَنْتَهِي الرِّسَالَةُ بِالْخَاتَمِ النَّبَوِيِّ الَّذِي نَقْشُهُ: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ»(١).

الْخِطَابُ الْمَوْجُودُ فِي تُرْكِيَا يُثِيرُ لَدَيْنَا -نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ- أَعْظَمَ فُضُولٍ وَحُبِّ اسْتِطْلَاعٍ؛ إِنَّ الْآيَةَ الْقُرْآنِيَّةَ الَّتِي وَرَدَتْ فِي مَضْمُونِ الْخِطَابِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ مَوْجُودَةٌ فِي كُلِّ بَيْتٍ مُسْلِمٍ، وَهِيَ تُتْلَىٰ وَتُعَادُ تِلَاوَتُهَا أَلْفَ مَرَّةٍ وَمَرَّةٍ دُونَ أَنْ يَتَحَرَّكَ مَنْ يَقُومُ بِتِلَاوَتِهَا أَدْنَىٰ حَرَكَةٍ فِي سَبِيلِ تَوْصِيلِ الرِّسَالَةِ وَتَبْلِيغِهَا إِلَىٰ مَنْ وَجَّهَ اللهُ إِلَيْهِمْ هَذِهِ الرِّسَالَةَ!!

وَلْنُعِدِ النَّظَرَ مَرَّةً أُخْرَىٰ إِلَىٰ نَصِّ الْآيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ الْكَرِيمَةِ الشَّرِيفَةِ الْمُطَهَّرَةِ؛ إِنَّهَا مُوَجَّهَةٌ إِلَىٰ أَهْلِ الْكِتَابِ -وَأَهْلُ الْكِتَابِ هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ- وَلَكِنَّنَا مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ عَامٍ قَدْ تَجَاهَلْنَا وَأَهْمَلْنَا شَأْنَ هَذَا التَّوْجِيهِ الْإِلَهِيِّ الْكَرِيمِ؛ مِنْ جَرَّاءِ تَقْصِيرِنَا، وَفُتُورِ هِمَمِنَا، وَضَعْفِ إِرَادَاتِنَا!!

---

(١) وقد ثبتت رسالة النبي ﷺ إِلَىٰ هِرَقْلَ مروية في حديثٍ أخرجه البخاري: (١/ ٣١-٣٣، رقم ٧)، ومسلم: (٣/ ١٣٩٣-١٣٩٦، رقم ١٧٧٣)، رواية: ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، وفيه:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَىٰ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلَامٌ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَىٰ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، وَ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾».

إِنَّنَا نَجْلِسُ فَوْقَ كُنُوزِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِثْلَ ثُعْبَانِ الْكُوبْرَا؛ يَجْلِسُ مُلْتَفًّا مُلْتَوِيًا فَوْقَ كَنْزٍ مِنَ الثَّرْوَةِ الْهَائِلَةِ!!

الثَّرْوَةُ مَوْجُودَةٌ وَحَاضِرَةٌ، وَلَكِنَّ الْكُوبْرَا تَحُولُ دُونَ اسْتِفَادَةِ النَّاسِ مِنْهَا مَا دَامَتِ الْكُوبْرَا مَوْجُودَةً فَوْقَهَا تَحُولُ دُونَ انْتِفَاعِ الْمُسْتَحِقِّينَ مِنَ الِانْتِفَاعِ بِتِلْكَ الثَّرْوَةِ!!

وَهَذَا الْإِهْمَالُ التَّامُّ لِشَأْنِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ الْإِلَهِيَّةِ سَيَسْتَمِرُّ لِكَيْ يُنْتِجَ أَعْظَمَ الْأَضْرَارِ وَالْأَخْطَارِ وَالْآلَامِ مِمَّا لَا حَصْرَ لَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي هَذَا الْجِيلِ وَكَذَلِكَ فِي الْأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ مَا لَمْ تُؤَدِّ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الرِّسَالَةَ الَّتِي أَوْكَلَ اللهُ إِلَيْهَا أَنْ تُؤَدِّيَهَا إِلَىٰ الْأُمَمِ الْأُخْرَىٰ.

وَبَعْدَ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ مِنْ قِرَاءَتِنَا وَتَرْتِيلِنَا -نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ- بِمُخْتَلَفِ طُرُقِ وَأَسَالِيبِ الْقِرَاءَةِ وَالتَّرْتِيلِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، نَحْنُ لَا نَزَالُ نَسْمَعُ هَذِهِ الْآيَةَ الْقُرْآنِيَّةَ الْكَرِيمَةَ الَّتِي تُنَبِّهُنَا إِلَىٰ حَقِيقَةٍ بَالِغَةِ الْأَهَمِّيَّةِ؛ إِذْ يَقُولُ اللهُ ﷻ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨].

وَلَقَدْ وَرَدَ هَذَا التَّعْبِيرُ الْقُرْآنِيُّ الْحَكِيمُ وَقَرَّرَ اللهُ الْعَظِيمُ فِي خِتَامِ هَذِهِ الْآيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ مَضَتْ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وَلَقَدْ كَانَ ذَلِكَ التَّعْبِيرُ التَّعْبِيرَ الصَّحِيحَ الَّذِي يَنْطَبِقُ كُلَّ الِانْطِبَاقِ عَلَىٰ الْمَوْقِفِ الدِّينِيِّ فِي الْعَالَمِ عِنْدَمَا نَزَلَتِ الْآيَةُ عَلَىٰ قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَالسُّؤَالُ الْآنَ: هَلْ يَخْتَلِفُ الْأَمْرُ مِنَ النَّاحِيَةِ الدِّينِيَّةِ فِي الْعَالَمِ الْيَوْمَ عَمَّا وَرَدَ فِي خِتَامِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾؟

لَا؛ إِنَّ الْأَمْرَ لَا يَخْتَلِفُ أَيَّ قَدْرٍ مِنَ الِاخْتِلَافِ، وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ فِي الْعَالَمِ الْيَوْمَ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ دِينُ اللهِ الصَّحِيحُ!! وَلَا يَعْرِفُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ هُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَخَاتَمُ الْمُرْسَلِينَ، أَرْسَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا إِلَىٰ جَمِيعِ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ!!

وَلَكِنْ.. مَا زَالَتِ الْآيَةُ مُدَوِّيَةً فِي سَمْعِ الزَّمَانِ بِذَلِكَ التَّذْيِيلِ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ بِالضَّبْطِ كَمَا قَالَ ﷻ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَيُوجَدُ فِي الْعَالَمِ الْيَوْمَ عَدَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَفُوقُ عَدَدَ مَنْ يَعْبُدُونَ اللهَ الْوَاحِدَ الْحَقَّ!!

هَلْ يُوجَدُ أَيُّ أَمَلٍ فِي تَغْيِيرِ هَذَا الْمَوْقِفِ؟!!

اللهُ الْمُسْتَعَانُ!

إِنَّ تَارِيخَ الْعَالَمِ.. لَوْ دَرَسْتَ تَارِيخَ الْعَالَمِ حَتَّىٰ الْآنَ سَيُخْبِرُكَ أَنَّ الْوَقْتَ الَّذِي أَمَرَ فِيهِ اللهُ ﷻ خَاتَمَ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يُعْلِنَ لِلنَّاسِ رِسَالَتَهُ كَانَ مِنْ أَشَدِّ الْأَوْقَاتِ ظَلَامًا وَأَكْثَرِهَا جَهْلًا.

لَقَدْ كَانَتِ الْحَاجَةُ مَاسَّةً إِلَىٰ أَحَدِ أَمْرَيْنِ؛ إِمَّا إِرْسَالُ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ خَاتَمٍ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ إِلَىٰ كُلِّ رُكْنٍ وَكُلِّ أُمَّةٍ مِنْ أَرْكَانِ وَأُمَمِ الْعَالَمِ، وَإِمَّا إِرْسَالُ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ خَاتَمٍ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ إِلَىٰ كُلِّ الْبَشَرِ فِي كُلِّ الْأُمَمِ وَفِي كُلِّ أَرْكَانِ الْعَالَمِ؛ لِكَيْ يُخَلِّصَ وَيُحَرِّرَ كُلَّ الْبَشَرِ مِنَ الزَّيْفِ، وَالْخُرَافَةِ، وَالْأَنَانِيَّةِ، وَتَعَدُّدِ الْآلِهَةِ وَالضَّلَالِ، وَظُلْمِ وَقَهْرِ الْإِنْسَانِ لِأَخِيهِ الْإِنْسَانِ، وَذَلِكُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَتَكُونُ رِسَالَةُ خَاتَمِ أَنْبِيَاءِ وَرُسُلِ اللهِ مُوَجَّهَةً مِنَ اللهِ إِلَىٰ الْإِنْسَانِيَّةِ كُلِّهَا، وَاقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللهِ أَنْ يَخْتَارَ لِهَذِهِ الرِّسَالَةِ الْخَاتِمَةِ النَّبِيَّ الْخَاتِمَ مُحَمَّدًا ﷺ.

وَاخْتَارَهُ رَبُّهُ جَلَّوَعَلَا مِنْ أَعْمَاقِ أَكْثَرِ مَنَاطِقِ الْأَرْضِ تَخَلُّفًا قَبْلَ بَعْثِهِ إِلَىٰ الْبَشَرِ كَافَّةً مِنْ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

وَهَذِهِ الْحَقِيقَةُ أَنَّ رِسَالَةَ نَبِيِّ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانَتْ رِسَالَتَهُ لِكُلِّ الْبَشَرِ قَدْ سَجَّلَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

لَا مَجَالَ هُنَا لِتَمْيِيزِ جِنْسٍ عَلَىٰ جِنْسٍ أَوْ تَفْضِيلِ أُمَّةٍ عَلَىٰ أُمَّةٍ، لَا مَجَالَ هُنَا لِلشَّعْبِ الْمُخْتَارِ، أَوْ بِذْرَةِ إِبْرَاهِيمَ، أَوْ نَسْلِ دَاوُدَ، أَوْ هِنْدُو أَرْيَافَارْتَا، أَوِ الْيَهُودِ، أَوِ الْجُوبِيمِ، أَوِ الْعَرَبِ، أَوِ الْفُرْسِ، أَوِ الْأَتْرَاكِ، أَوِ الطَّاجِيكِ الْأُورُبِّيِّينَ أَوِ الْآسْيَوِيِّينَ؛ الْبِيضِ أَوِ الْمُلَوَّنِينَ، الْآرِيِّينَ أَوِ السَّامِيِّينَ، الْمَغُولِ، أَوِ الْأَفَارِقَةِ، الْأَمْرِيكِيِّ، أَوْ الِاسْتُرَالِيِّ، أَوِ الْبُولَنْدِيِّ.. إِنَّهُ لِكُلِّ النَّاسِ ﷺ، وَلِكُلِّ مَنْ حَبَاهُ اللهُ الْقُدْرَةَ عَلَىٰ تَحَمُّلِ الْمَسْئُولِيَّةِ الرُّوحِيَّةِ، إِنَّهُ يُقَدِّمُ الْمَبَادِئَ السَّلِيمَةَ لِكُلِّ الْعَالَمِ ﷺ.

النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ لَمْ يَكْتَفِ بِمَنْ جَاءَ، وَلَا بِمَنْ ذَهَبَ هُوَ إِلَيْهِ ﷺ، بَلْ أَرْسَلَ إِلَىٰ مَنْ وَرَاءِ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ وَعِبَادَةِ اللهِ الْخَلَّاقِ الْعَظِيمِ؛ فَأَرْسَلَ إِلَىٰ مَلِكِ الْفُرْسِ كِسْرَىٰ، وَإِلَىٰ الْإِمْبِرَاطُورِ الرُّومَانِيِّ هِرَقْلَ، وَإِلَىٰ حَاكِمِ مِصْرَ تَحْتَ الْحُكْمِ الرُّومَانِيِّ الْمُقَوْقِسِ، وَإِلَىٰ النَّجَاشِيِّ حَاكِمِ الْحَبَشَةِ، وَإِلَىٰ مَلِكِ الْيَمَنِ، فَأَيُّ عَظَمَةٍ فِي الْهَدَفِ وَالْغَايَةِ هِيَ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ الْعَظَمَةِ؟!!

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ.

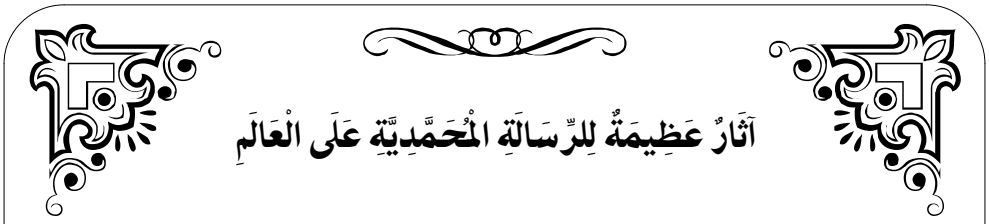

آثَارٌ عَظِيمَةٌ لِلرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ عَلَى الْعَالَمِ

إِنَّ الْإِسْلَامَ دِينُ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ؛ فَقَدْ أَسَّسَ حَضَارَةً عَالَمِيَّةً، وَلَمْ يَتْرُكِ الْإِسْلَامُ آسْيَا الْوَثَنِيَّةَ وَأُورُبَّا الْبِيزَنْطِيَّةَ وَأَفْرِيقْيَا السَّاذَجَةَ عَلَىٰ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِثْلَمَا فَعَلَ سُقُوطُ رُومَا بِأُورُبَّا، بَلْ نَقَلَ الْإِسْلَامُ هَذِهِ الْقَارَّاتِ الثَّلَاثِ إِلَىٰ حَضَارَةٍ جَدِيدَةٍ فَتِيَّةٍ قَوِيَّةٍ فِي الدِّينِ وَاللُّغَةِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْعُلُوِّ.

فِي الْعُصُورِ الْوُسْطَىٰ لَمْ تَشْهَدْ بِلَادُنَا وَحَضَارَتُنَا صِرَاعًا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ؛ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ يَحُضُّ عَلَىٰ الْعِلْمِ فِي شَتَّىٰ مَيَادِينِهِ وَفُرُوعِهِ، وَلَقَدْ كَانَتْ كُلٌّ مِنْ بَغْدَادَ وَقُرْطُبَةَ حَاضِرَتَيِ الْعَالَمِ الْعِلْمِيَّتَيْنِ بِمَا فِيهِمَا مِنْ جَامِعَاتٍ وَمَكْتَبَاتٍ وَعُلَمَاءَ وَطَلَبَةِ عِلْمٍ.

وَهَذَا هُوَ (دريبر) يَصْفَعُهُمْ بِالْحَقِيقَةِ عِنْدَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ «الْمُنَازَعَةُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ»: «إِنَّ جَامِعَاتِ الْمُسْلِمِينَ مَفْتُوحَةٌ لِلطَّلَبَةِ الْأُورُبِّيِّينَ الَّذِينَ نَزَحُوا إِلَيْهَا مِنْ بِلَادِهِمْ لِطَلَبِ الْعِلْمِ، وَكَانَ مُلُوكُ أُورُبَّا وَأُمَرَاؤُهَا يَغْدُونَ عَلَىٰ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ لِيُعَالَجُوا فِيهَا».

لَقَدْ كَانَتْ بِلَادُنَا مَصْدَرَ إِشْعَاعٍ فِكْرِيٍّ وَعِلْمِيٍّ وَحَضَارِيٍّ تَخَطَّىٰ إِلَىٰ أُورُبَّا، فَأَيْقَظَهَا مِنَ السُّبَاتِ، وَبَعَثَهَا مِنَ الْعَدَمِ!!».

إِنَّ (جِيربت) الْفَرَنْسِيَّ دَرَسَ فِي مَدَارِسِ إِشْبِيلِيَّةَ وَقُرْطُبَةَ، وَتَزَوَّدَ بِالْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، ثُمَّ نُصِّبَ بَابَا فِي رُومَا بِاسْمِ (سِلْفِسْتَر الثَّانِي) بَابَا رُومَا مَا بَيْنَ (٩٩٩ - ١٠٠٣)، وَتَرْجَمَ إِلَىٰ اللَّاتِينِيَّةِ كُتُبًا عَرَبِيَّةً كَثِيرَةً؛ لِأَنَّهُ دَرَسَ فِي مَدَارِسِ إِشْبِيلِيَّةَ وَقُرْطُبَةَ، وَأَدْخَلَ مَعَارِفَ عَرَبِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَلَىٰ أُورُبَّا.

وَالْمُنْصِفُ مِنْهُمْ يَعْلَمُ لَوْ لَمْ يَظْهَرِ الْعَرَبُ عَلَىٰ مَسْرَحِ التَّارِيخِ لَتَأَخَّرَتْ نَهْضَةُ أُورُبَّا الْحَدِيثَةُ عِدَّةَ قُرُونٍ.

إِنَّ شَمْسَ الْإِسْلَامِ سَطَعَتْ عَلَىٰ الْغَرْبِ فِي الْعُصُورِ الْوُسْطَىٰ، وَلَمْ تَبْدَأِ النَّهْضَةُ الْأُورُبِّيَّةُ الْحَدِيثَةُ إِلَّا بَعْدَ اطِّلَاعِ الْأُورُبِّيِّينَ عَلَىٰ الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، كَمَا أَنَّ التَّرْجَمَاتِ عَنِ الْعَرَبِيَّةِ كَانَتِ الْمَصْدَرَ الْوَحِيدَ لِلتَّدْرِيسِ فِي جَامِعَاتِ أُورُبَّا نَحْوَ سِتَّةِ قُرُونٍ.

وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ: إِنَّ تَأْثِيرَ الْمُسْلِمِينَ فِي بَعْضِ الْعُلُومِ كَعِلْمِ الطِّبِّ -مَثَلًا- دَامَ إِلَىٰ زَمَنٍ مُتَأَخِّرٍ جِدًّا، بَقِيَتْ كُتُبُ ابْنِ سِينَا تُدَرَّسُ فِي (جَامِعَةِ مُونْبِيلِي) فِي فَرَنْسَا إِلَىٰ أَوَاخِرِ الْقَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ!!

وَمَاذَا بَعْدَ شَهَادَةِ (جُوسْتَاف لُوبُو) الَّذِي تَمَنَّىٰ لَوْ أَنَّ الْعَرَبَ اسْتَوْلَوْا عَلَىٰ فَرَنْسَا لِتَغْدُوَ بَارِيسُ مِثْلَ قُرْطُبَةَ فِي إِسْبَانِيَا مَرْكَزًا لِلْحَضَارَةِ وَالْعِلْمِ، حَيْثُ كَانَ رَجُلُ الشَّارِعِ فِي قُرْطُبَةَ يَكْتُبُ وَيَقْرَأُ وَيقْرِضُ الشِّعْرَ -أَحْيَانًا- فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ فِيهِ -كَمَا يَقُولُ (لُوبُو)، كَانَ فِيهِ- مُلُوكُ أُورُبَّا لَا يَعْرِفُونَ كِتَابَةَ أَسْمَائِهِمْ وَيَبْصُمُونَ بِأَخْتَامِهِمْ!!

وَيُضِيفُ (لُوبُو) سَاخِرًا مِمَّنْ يُقَارِنُ الْعَرَبَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعُصُورِ الْوُسْطَىٰ بِالْأُورُبِّيِّينَ: «فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ قَدْ كَانَ الْوَضْعُ عَلَىٰ عَكْسِ الْوَقْتِ الْحَاضِرِ تَمَامًا!!

الْعَرَبُ هُمُ الْمُتَحَضِّرُونَ وَالْأُورُبِّيُّونَ هُمُ الْمُتَأَخِّرُونَ، وَلَا أَدَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ أَنَّنَا نُسَمِّي تَارِيخَ أُورُبَّا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْعُصُورَ الْمُظْلِمَةَ»، هَذَا كَلَامُهُ؛ إِنَّ عُصُورَ أُورُبَّا الْوُسْطَىٰ عُصُورٌ مُظْلِمَةٌ يَقِينًا.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ- مِنْ خُطْبَةٍ: «شِعَارُ الْفَاتِيكَان.. النَّجَاسَةُ مِنَ الْإِيمَان!!» - ٢٩ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٧هـ| ٢٢-٩-٢٠٠٦م.

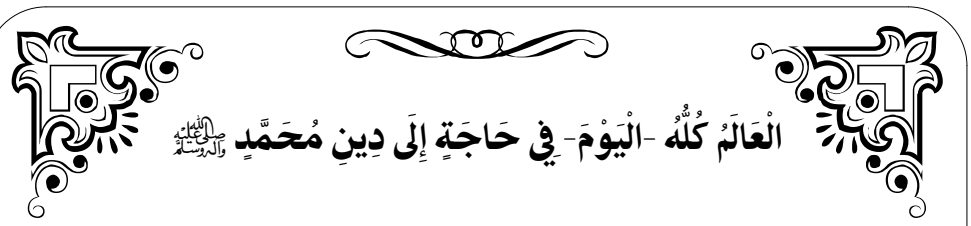

الْعَالَمُ كُلُّه -الْيَوْمَ- فِي حَاجَةٍ إِلَى دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ النَّاسَ يَحْتَاجُونَ الْوَحْيَ وَالرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ أَكْثَرَ مِنَ احْتِيَاجِهِمُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَالنَّفَسَ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا فَقَدَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَالنَّفَسَ مَاتَ جَسَدُهُ، وَإِذَا فَقَدَ الْوَحْيَ وَالنُّبُوَّةَ وَالرِّسَالَةَ مَاتَ قَلْبُهُ وَمَاتَتْ رُوحُهُ، وَمَوْتُ الْجَسَدِ لَيْسَ شَيْئًا بِإِزَاءِ مَوْتِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ.

بَلْ إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ جَسَدُهُ رُبَّمَا انْعَتَقَتْ رُوحُهُ مِنْ أَسْرِ الْجَسَدِ إِلَىٰ طَلَاقَةٍ تَكُونُ هُنَالِكَ بِسَعَادَةِ الْقُلُوبِ، وَالْإِنْسَانُ إِذَا فَقَدَ الرُّوحَ وَالْقَلْبَ فَذَلِكَ هَلَاكُ الْأَبَدِ، وَذَلِكَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ.

النَّاسُ يَحْتَاجُونَ الْوَحْيَ أَكْثَرَ مِنْ حَاجَاتِهِمُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَالنَّفَسَ، عَلَىٰ شِدَّةِ الْإِنْسَانِ فِي احْتِيَاجِهِ إِلَىٰ النَّفَسِ وَعَلَىٰ شِدَّةِ احْتِيَاجِ الْإِنْسَانِ إِلَىٰ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَلَكِنَّ حَاجَتَهُ إِلَىٰ الْوَحْيِ، وَحَاجَتَهُ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ فِي أَحْوَالِ الْعَالَمِ عَلِمَ أَنَّ كُلَّ سَعَادَةٍ وَفَلَاحٍ، وَكُلَّ هَنَاءٍ وَصَلَاحٍ؛ إِنَّمَا سَبَبُهُ طَاعَةُ الرَّسُولِ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ الْعَالَمِ عَلِمَ أَنَّ كُلَّ شَقَاءٍ وَبَوَارٍ، وَخَرَابٍ وَدَمَارٍ؛ فَإِنَّمَا سَبَبُهُ مُخَالَفَةُ الرَّسُولِ.

وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ أَطَاعُوا النَّبِيَّ ﷺ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَسَارُوا خَلْفَهُ، وَاتَّبَعُوا نَهْجَهُ، وَالْتَزَمُوا شَرْعَهُ.. مَا وُجِدَ فِي الدُّنْيَا شَرٌّ قَطُّ، وَلَكِنَّ الشَّرَّ يُوجَدُ فِي الْحَيَاةِ عَلَىٰ قَدْرِ الْمُخَالَفَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَالشَّرُّ يَنْتَفِي عَلَىٰ قَدْرِ طَاعَتِهِ، وَالصَّلَاحُ وَالْفَلَاحُ وَالْهَنَاءُ وَالِاسْتِقْرَارُ.. كُلُّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَتَأَتَّىٰ عَلَىٰ قَدْرِ طَاعَةِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النِّسَاء: ٥٩].

وَالْإِشَارَةُ فِي قَوْلِهِ جَلَّوَعَلَا: ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ يَعْنِي: مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنْ طَاعَتِي وَطَاعَةِ نَبِيِّي ﷺ، وَرَدِّ مَا وَقَعَ فِيهِ التَّنَازُعُ إِلَىٰ كِتَابِي وَسُنَّةِ نَبِيِّي ﷺ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ أَبَدًا إِلَّا إِذَا كَانَ جَزَاءً لِشَرْطٍ قَدْ سَبَقَ ذِكْرُهُ: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾، وَجَاءَ هَاهُنَا بِالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَىٰ الْحُدُوثِ وَالِاسْتِمْرَارِ وَعَدَمِ الِانْقِطَاعِ: ﴿تُؤۡمِنُونَ﴾.

لَمْ يَقُلْ: «إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»؛ وَإِنَّمَا قَالَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- هَاهُنَا لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ اسْتِمْرَارِيَّةِ الْحَدَثِ وَتَجَدُّدِهِ: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾: الَّذِي أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَدَلَلْتُكُمْ عَلَيْهِ، وَأَرْشَدْتُكُمْ إِلَيْهِ، وَجَاءَكُمْ بِهِ نَبِيِّي وَرَسُولِي ﷺ.. ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾: ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ، ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾؛ يَعْنِي: وَأَحْسَنُ مَآلًا لَكُمْ وَعَاقِبَةً لَكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ.

فَدَلَّ الْأَمْرُ هَاهُنَا عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ -يَعْنِي: عَلَىٰ أَنَّ طَاعَةَ الرَّسُولِ ﷺ- وَهِيَ طَاعَةٌ لِلَّهِ جَلَّوَعَلَا؛ لِأَنَّهُ لَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يُطَاعَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَيُعْصَىٰ نَبِيُّهُ ﷺ.

وَلَا يُمْكِنُ أَبَدًا أَنْ يَتَصَوَّرَ عَقْلٌ، وَلَا أَنْ يَتَخَيَّلَ خَيَالٌ.. أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ طَائِعًا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَهُوَ مُحَادٌّ لِنَبِيِّهِ مُشَاقٌّ لَهُ، هُوَ فِي شِقٍّ وَنَبِيُّهُ فِي شِقٍّ، وَهُوَ فِي حَدٍّ وَنَبِيُّهُ فِي حَدٍّ!! وَإِنَّمَا يُطَاعُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ الْأَمِينِ ﷺ.

﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾: سَعَادَةٌ لَكُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ وَسَعَادَةً لَكُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ.

فَدَلَّ هَذَا النَّصُّ -كَمَا رَأَيْتَ- بِظَاهِرِهِ مِنْ غَيْرِ مَا تَأْوِيلٍ وَلَا شَرْحٍ وَلَا تَفْسِيرٍ؛ عَلَىٰ أَنَّ مَرْجِعَ السَّعَادَةِ دُنْيَا وَآخِرَةً، وَعَلَىٰ أَنَّ انْعِقَادَ أَمْرِ السَّعَادَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِطَاعَةِ الْمَأْمُونِ ﷺ، وَكُلُّ شَرٍّ فِي الْحَيَاةِ إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ ﷺ، أَوْ بِسَبَبِ ارْتِكَابِ وَرُكُوبِ نَهْيِهِ.

وَمَا مِنْ شَرٍّ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ وَلَا فِي الْحَيَاةِ الْأُخْرَىٰ إِلَّا وَسَبَبُهُ مُخَالَفَةُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَانْتِظَامُ أُمُورِ الْعَالَمِ، وَانْتِظَامُ أُمُورِ الْحَيَاةِ، وَسَيْرُ الْكَوْنِ عَلَىٰ الْمُقْتَضَىٰ الْأَمْثَلِ، وَعَلَىٰ السَّنَنِ الْأَسْنَىٰ.. إِنَّمَا يَكُونُ عَلَىٰ قَدْرِ طَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَمَا مِنْ مَكَانٍ فِي الْأَرْضِ غَلَبَتْ فِيهِ طَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا وَتَحَصَّلَ سَاكِنُوهُ مِنَ السَّعَادَةِ وَالْهَنَاءِ عَلَىٰ قَدْرِ طَاعَتِهِمْ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَمَا عَمَّتِ الشُّرُورُ فِي مَكَانٍ، وَلَا غَلَبَتْ نَوَازِعُ الشَّرِّ فِي مَوْضِعٍ.. إِلَّا لِكَثْرَةِ مُخَالَفَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

بَلْ إِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَتَحَصَّلُ عَلَىٰ اسْتِقْرَارِ قَلْبِهِ، وَاطْمِئْنَانِ نَفْسِهِ، وَصَلَاحِ بَالِهِ، وَاسْتِقَامَةِ خَطْوِهِ.. إِنَّمَا يَتَحَصَّلُ عَلَىٰ ذَلِكَ وَيَثْبُتُ عَلَيْهِ عَلَىٰ قَدْرِ طَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يَأْمُرُ بِشَيْءٍ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ؛ وَإِنَّمَا يَأْمُرُ بِأَمْرِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَيَنْهَىٰ بِنَهْيِهِ، وَالرَّسُولُ ﷺ يُبَلِّغُ الْوَحْيَ عَنْ رَبِّهِ، **فَعَادَ صَلَاحُ الْعَالَمِ إِلَىٰ هَذَا النُّورِ الْمُشْرِقِ الْمُبِينِ.**

وَمَا مِنْ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الْحَيَاةِ -وَلَوْ كَانَ بَعِيدًا فِي ظَاهِرِهِ عَنْ دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالنَّهَلِ مِنْ نَبْعِهِ الصَّافِي الْمَعِينِ- فِيهِ صَلَاحٌ إِلَّا وَمَرَدُّهُ فِي الْمُنْتَهَىٰ إِلَىٰ وَحْيِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَلَوْلَا الْوَحْيُ لَكَانَ النَّاسُ أَحَطَّ مِنَ الْبَهَائِمِ، وَأَسْفَلَ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ، لَوْلَا الْوَحْيُ، وَلَوْلَا الرِّسَالَةُ، وَلَوْلَا النُّبُوَّةُ.. مَا كَانَ عِرْضٌ وَلَا شَرَفٌ، وَلَا كَانَ حِفَاظٌ وَلَا كَرَامَةٌ، وَلَا كَانَ مَالٌ يُقْتَنَىٰ، وَلَا كَانَتْ دَارٌ تُسْكَنُ؛ وَإِنَّمَا لَعَمَّتْ -حِينَئِذٍ- شِرْعَةُ الْقُوَّةِ؛ يَتَغَلَّبُ الْقَوِيُّ عَلَىٰ الضَّعِيفِ مِنْ غَيْرِ رَادِعٍ، وَإِنَّمَا يَتَوَقَّفُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ حَدِّهِ، وَإِنَّمَا يَنْتَهِي الْإِنْسَانُ إِلَىٰ الْمَوْضِعِ الَّذِي يَنْبَغِي أَلَّا يَتَجَاوَزَهُ، كُلُّ ذَلِكَ.. وَلَوْ كَانَ فِي دَسَاتِيرَ وَضْعِيَّةٍ وَقَوَانِينَ بَشَرِيَّةٍ، كُلُّ ذَلِكَ مَرَدُّهُ فِي الْمُنْتَهَىٰ إِلَىٰ وَحْيِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِلْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ، وَإِلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ ﷺ.

مَا عَرَفَ النَّاسُ الْكَرَامَةَ، وَلَا عَشِقَ النَّاسُ الْفَضَائِلَ، وَلَا اسْتَدَلَّ النَّاسُ عَلَىٰ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ، وَلَا حَادَ النَّاسُ عَنِ الشُّرُورِ وَالتَّسَفُّلِ وَالرَّذَالَةِ وَالْوَضَاعَةِ وَالتَّدَنِّي.. إِلَّا بِسَبَبِ الْوَحْيِ، وَبِسَبَبِ النُّبُوَّةِ، وَبِسَبَبِ الرِّسَالَةِ، يَأْتِي بِذَلِكَ كُلِّهِ أُولَئِكَ الْمُطَهَّرُونَ الْمُصْطَفَوْنَ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ الصَّالِحِينَ وَرُسُلِهِ الْمُكْرَمِينَ، وَخِتَامُهُمْ وَتَاجُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ.

سَعَادَةُ الدَّارَيْنِ فِي اتِّبَاعِ الْوَحْيِ، وَشَقَاءُ الدَّارَيْنِ فِي مُجَانَبَةِ الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ، وَعَلَىٰ قَدْرِ الثَّبَاتِ عَلَىٰ شِرْعَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَكُونُ اسْتِقْرَارُ الْإِنْسَانِ مُفْرَدًا، وَاسْتِقْرَارُ الْمُجْتَمَعِ مَجْمُوعًا، وَاسْتِقْرَارُ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ.

وَعَلَىٰ قَدْرِ الْبُعْدِ عَنْ دِينِ الرَّبِّ، عَنْ دِينِ الْإِلَهِ الْحَقِّ، عَنْ دِينِ اللهِ جَلَّوَعَلَا.. يَحْدُثُ مَا يَحْدُثُ مِنَ انْتِهَاكٍ لِلْأَعْرَاضِ، وَسَفْكٍ لِلدِّمَاءِ، وَمِنْ نَهْبٍ لِلْأَمْوَالِ، وَمِنَ اعْتِدَاءٍ عَلَىٰ الدِّيَارِ وَالْمُمْتَلَكَاتِ؛ كُلُّ ذَلِكَ سَبَبُهُ الْبُعْدُ عَنِ الْوَحْيِ، وَالْبُعْدُ عَنِ الرِّسَالَةِ، وَالْبُعْدُ عَنِ النُّبُوَّةِ.(*).

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ الوَحْيَ هُوَ رُوحُ العَالَمِ وَنُورُهُ وَحَيَاتُهُ، وَإِذَا خَلَا العَالَمُ مِنَ الرُّوحِ وَالنُّورِ وَالحَيَاةِ أَقَامَ اللهُ -تَعَالَىٰ- السَّاعَةَ؛ لِأَنَّ القُرْآنَ يُرْفَعُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مِنَ الصُّدُورِ وَمِنَ السُّطُورِ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ آيَةٌ مِنْ كَلَامِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَذَلِكَ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «سَعَادَةُ الْأَكْوَانِ فِي وَحْيِ الرَّحْمَنِ» - الْجُمُعَةُ ١ مِن صَفَرٍ ١٤٢٦هـ| ١١-٣-٢٠٠٥م.

وَحِينَئِذٍ -عِنْدَمَا يَخْلُو الْعَالَمُ مِنَ الْحَيَاةِ وَالنُّورِ وَمَادَّةِ هَذَا الوُجُودِ الحَقِّ- فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُقِيمُ السَّاعَةَ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ: «عِيشُوا الْوَحْيَ الْمَعْصُومَ!» - الْخَمِيسُ ٢٣ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٨ هـ| ٢٢ -١٢ -٢٠١٦م.

رِسَالَةُ نَبِيِّنَا ﷺ عَلَّمَتِ الْعَالَمَ السَّلَامَ وَالْقِيَمَ

إِنَّا لَنُعِيذُ أُمَّتَنَا بِاللهِ جَلَّوَعَلَا أَنْ تَجْهَلَ دِينَهَا هَذَا الْجَهْلَ، وَأَنْ تَكُونَ مِنَ الْغَفْلَةِ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ.

دِينُكُمْ لَحْمُكُمْ وَعَظْمُكُمْ.

دِينُكُمْ حَيَاتُكُمُ الدُّنْيَا وَآخِرَتُكُمْ.

دِينُكُمْ شَرَفُكُمْ وَعِرْضُكُمْ.

عَقِيدَتُكُمْ فِيهَا نَجَاتُكُمْ، وَفِيهَا عِزُّكُمْ.

وَلَا تَحْتَاجُونَ أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ إِلَىٰ مَنْ يَرْسُمُ لِكِ الطَّرِيقَ؛ فَقَدْ رَسَمَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ، إِنَّهُ طَرِيقُ اللهِ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ.

وَنَحْنُ فِي صَلَوَاتِنَا كُلِّهَا نَتَحَلَّلُ مِنَ الصَّلَاةِ بِالسَّلَامِ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ**»، وَلَا نَكْتَفِي بِهِ، بَلْ نَسْتَنْزِلُ الرَّحْمَةَ وَالْبَرَكَةَ مِنْ عِنْدِهِ يَمِينًا وَيَسَارًا، نَحْنُ فِي صَلَوَاتِنَا كُلِّهَا فِي التَّشَهُّدِ نَقُولُ: «السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ».

نَحْنُ الَّذِينَ عَلَّمْنَا الْعَالَمَ السَّلَامَ بِشَرَائِطِهِ، بِأَحْكَامِهِ وَقَوَاعِدِهِ.

لَيْسَ بِالْمَذَلَّةِ يُسْتَجْلَبُ، وَلَا بِالذُّلِّ وَالْعَارِ، وَمَا عِنْدَ اللهِ لَا يُنَالُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ.

نَحْنُ الَّذِينَ عَلَّمْنَا الْعَالَمَ كُلَّهُ قِيَمَ الْخَيْرِ، قِيَمَ الصِّدْقِ، الْقِيَمَ الَّتِي يَكُونُ بِهَا الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا بِحَقٍّ، وَلَوْلَا هَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ مَا عُرِفَ شَرَفٌ، وَلَا رُوعِيَ عِرْضٌ.

إِنَّ الْحَقَّ، وَالْخَيْرَ، وَالْهُدَىٰ، وَالْعَدْلَ، وَالسَّلَامَ.. فِي دِينِ نَبِيِّ السَّلَامِ مُحَمَّدٍ ﷺ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «خِطَابٌ إِلَىٰ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ» - الْجُمُعَةُ ١٢ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٠هـ| ٥-٦-٢٠٠٩م.

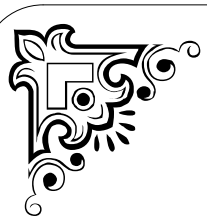

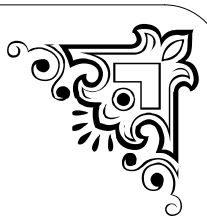

الْفِهْرِسُ

مُقَدِّمَةٌ ٣

شَرِيعَةُ النَّبِيِّ ﷺ مَبْنَاهَا عَلَىٰ الْحِكَمِ وَمَصَالِحِ الْعِبَادِ ٤

عَالَمِيَّةُ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ٦

دَلَائِلُ عَالَمِيَّةِ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ٨

تَقْصِيرُ أَبْنَاءِ الْأُمَّةِ فِي دَعْوَةِ الْعَالَمِ لِلْإِسْلَامِ ٤٧

آثَارٌ عَظِيمَةٌ لِلرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ عَلَىٰ الْعَالَمِ ٥٤

الْعَالَمُ كُلُّهُ -الْيَوْمَ- فِي حَاجَةٍ إِلَىٰ دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ ٥٧

رِسَالَةُ نَبِيِّنَا ﷺ عَلَّمَتِ الْعَالَمَ السَّلَامَ وَالْقِيَمَ ٦٣

الْفِهْرِسُ ٦٥